الطريــق إلى النجـــاح

تأليف

عبد العزيز جادو

تقديم

د. عبد العزيز فتحي

الكتاب: الطريق إلى النجـاح

الكاتب: عبد العزيز جادو

تقديم : د. عبد العزيز فتحي

الطبعة: ٢٠١٨

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية


هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

E-mail: news@apatop.comhttp://www.apatop.com

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة: لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

دار الكتب المصرية

فهرسة إثناء النشر

جادو ، عبد العزيز

الطريق إلى النجـاح / عبد العزيز جادو

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

١١٠ ص، ١٨ سم.

الترقيم الدولى: ٠ – ٧٧٠ – ٤٤٦ – ٩٧٧ – ٩٧٨

أ – العنوان رقم الإيداع : ٩٤٦٣ / ٢٠١٨

الطريق إلى النجاح





مقدمة

كلّ شخص يحلم بأن يكون ناجحاً في مكان عمله، وفي مختلف مجالات حياته داخل الأسرة وخارجها، وينجح الكثير من الناس في تحقيق هذا الهدف في حياتهم، بينما يعجز البعض الآخر في تحقيق ذلك، ويقضون حياتهم في البحث عن النجاح، والتفتيش عن الطرق التي تجعلهم ناجحين في حياتهم. والطريق إلى النجاح يكون طويلاً ومليئاً بالمطبّات والعقبات، إلا أنّه من السهل تعبيده للتمكُّن من الوصول إلى النجاح بأسهل وأسرع طريقة مُمكنة، ويحتاج تحقيق ذلك للاقتناع بإمكانيّة النجاح فالتحليّ بالأفكار والسلوكيّات الإيجابيّة يُساعد في شقّ الطريق نحو النجاح، وتخطّي العقبات الموجودة خلاله، هذا بالإضافة إلى تطبيقها على أرض الواقع، ممّا يجعل النجاح أكثر قُرباً من ذي قبل. وتقليد الناجحين من خلال دراسة سلوكيّاتهم، وطريقة تفكيرهم وتنفيذ أفكارهم، ومحاولة تقليدها بعقلانيّة، مع الابتعاد عن التقليد الأعمى، وتركيز التقليد على ما يتناسب مع الاحتياجات الخاصّة لكلّ شخص، مع مراعاة الفروق الفرديّة الموجودة من شخص لآخر؛ فهذا أحد طرق النجاح.

من الصعب جداً بل من المستحيل الوصول إلى النجاح دون التدرّج أولاً، ويحتاج الوصول إلى قمّة النجاح تحقيق الأهداف الصغيرة في الحياة؛ وذلك لتكون حجر الأساس الذي يتم الارتكاز عليه، ولتحقيق الأهداف الكبرى التي تُحقّق النجاح، فلا بأس بالاقتناع بالقليل،

وذلك حتى يتمّ الحصول على الكثير.

ومن أهم طرق النجاح التأثير في الآخرين؛ فهذا التأثير هو من المهارات المهمّة التي تُساعد في تحقيق النجاح، وذلك من خلال امتلاك القدرة على إقناع الآخرين، وبفعل الأمور المهمّة لتحقيق النجاح سواء كانوا المسئولين بشكل مباشر عن تحقيقه، أو الفروع الصغيرة التي تُؤدي إلى النجاح.

من طرق النجاح المهمة هناك المرونة والتي نحتاجها في حال إغلاق أحد الطرق وعدم التمكّن من اختراقها سعياً للنجاح، ويتم تحديد طريق بديل وفعّال بشكل فوري، وذلك للبقاء ضمن الطريق الصحيح، وعدم الإزاحة عنه نتيجةً للشعور بالانهزام أو الإحباط أو التكاسل.

ومن طرق النجاح المهمة أيضاً يوجد التقييم؛ وذلك لأن إخضاع النفس للتقييم من أهمّ الأمور التي تُساعد على سلوك طريق النجاح دون فشل، وبأقل الأضرار والخسائر المُمكنة، مع التصحيح التلقائيّ للسلوكيات الخاطئة، واستبدالها على الفور بالسلوكيّات الناجحة والهادفة.

ومن طرق النجاح المهمة أيضاً طلب المساعدة من ذوي الخبرة؛ ولا ضير في طلب العون والمساعدة من ذوي الخبرة السباقين للنجاح، أو المُتخصّصين في هذا المجال، وتلقّي التدريب الذي يُساعد في تحقيق ذلك، أو عن طريق قراءة الكتب المُتعلّقة بهذا الموضوع، وجمع

المعلومات المُختلفة من المصادر، وربطها مع بعضها البعض للحصول على أكبر كم من الفائدة، وذلك لشق طريق النجاح من خلالها.

ما هو طريق النجاح..؟!

طريق النجاح له خطوات، وخطوات طريق النجاح منها:

البدء بالحلم: وذلك بتخيل النجاح في المُستقبل، فالأحلام بمثابة مُحفِّز وإلهام. تحديد الأهداف: من الأفضل وضع خطةٍ للعمل بما يتناسب مع الرغبات والاحتياجات للحصول على النتائج المرجوة.

الحفاظ على التفكير الإيجابي: ويُعدّ التفكير الإيجابي مهارةً، فالشخص نفسه يُحدد إن أراد التركيز على الأفكار السلبية أو الأفكار الإيجابية، فالإنسان لا يعيش في فقاعةٍ بمعزلٍ عن العالم، وبالتالي سيحدث له العديد من الأشياء الخارجة عن إرادته، ومن المهم تغيير نمط اللغة التي يتمّ الحديث بها مع النفس ومع الآخرين.

تعلم كيفية تحقيق التوازن: يوجد تشابك دائم بين الحياة العامة والعمل، ولمن يريد النجاح عليه الموازنة بين هذين الشقين.

الإيمان بالقدرة على النجاح: فهناك مقولة لوالتر ديزني مؤسس شركة والت ديزني تقول: "ما دمت قادراً على أن تحلم به، فأنت قادر على تحقيقه".

عقبات طريق النجاح:

هناك العديد من العقبات التي توجد في طريق النجاح، ومن هذه العقبات: اختلاق الأعذار؛ فيجب وقف إلقاء اللوم على الآخرين، وتحمل مسؤولية الأخطاء.

التركيز على السلبيات: فليس من المفترض تجاهل الأمور السلبية، ولكن يجب عدم إعطائها اهتماماً كبيراً، فالتركيز على السلبية يمنع تحقيق الإنجازات.

الخوف من الفشل: حيث يجب التعامل مع الفشل على أنّه فرصة للتعلم، وليس انعكاساً للشخصية، أو أنّه صفة معيبة، وكلّ ما يجب فعله هو بذل أقصى جهدٍ للنجاح.

طريق النجاح في العمل: حيث يجب مراعاة بعض الأمور للنجاح في العمل، ومنها:

العناية بالذات: فالأشخاص الطموحون هم بالعادة أقل عنايةً بأنفسهم، ولكن ذلك قد يجعلهم أقل إنتاجيةً، وبذلك يجب الاهتمام بالنفس من خلال الحصول على قسطٍ كافٍ من النوم، وممارسة التمارين الرياضية، والحصول على طعامٍ مُغذٍ، والحفاظ على الأصدقاء المقربين.

إحاطة النفس بأشخاصٍ عظماء: وذلك لأن للتواصل أهميةً كبيرةً في تحقيق حياةٍ مهنيةٍ ناجحةٍ، حيث يتمّ الحصول على العديد من فرص

العمل من خلال المعارف.

مهارة تعلم كيف تتعلم: هذه المهارة من شأنها أن تُساعد على النجاح في أيّ وظيفةٍ، كما أنّها تُساعد على التعلم السريع لجميع الجوانب.

مما سبق نجد أن طريق النجاح صعب، ولكن يجب منك أن تُذلل له الطريق كي تنجح وتتفوق في المجال الذي تُريد التفوق فيه.

ومن أجل أهمية النجاح جاء دور هذا الكتاب المهم الذي بين يديك حيث يدلك علي الطريق الصحيح لتنجح وتتفوق في أي مجال تُريد..

هيا اغتنم هذا الكنز الذي بين يديك وخذ منه ما تشاء كي تُصبح ناجحاً ومتفوقاً يُشار له بالبنان..

د. عبد العزيز فتحي



أسرار النجاح

إذا لم أجد طريقي في الأرض المعبدة، فسأقتحم القمم الصخرية الشاهقة دون تذمر، لأنني أعلم أن كل جهد يتضمن في ذاته الجزاء الكافي عنه، وأن الآفاق الواسعة تنتظر في آخر الطريق.

"جورج صاند"

نحن نتطور في كل لحظة، وكل دقيقة وكل ثانية. إن الحياة نفسها تدور بلا انقطاع وليس للهدوء معنى، وإنه لفظ مرادف للموت. وواجبنا في الحياة أن نسير دائما إلى الأمام نحو الخير... ومهما قصرت خطواتنا، ومهما واجهتنا العقبات، ومهما وطئنا الأشواك، فلا ينبغي أن نرتد إلى الوراء، وإذا حدث أن تقهقرنا، فلكي ننشد طريقاً آخر نمضي فيه إلى الأمام.

" إيليا اهرنبرغ"

هناك في الغالب كثير من النظريات المختلفة التي تتعلق بمضمون النجاح بقدر ما يوجد في الدنيا من أفراد. والنجاح، ومع ذلك، شيء نسبي في هذا الوجود؛ فالذي يعتبره أحد الأشخاص نجاحاً، يعتبره الآخر

إخفاقاً. فإن لعنة التقديرات الزائفة، ومحنة الآراء الكاذبة، ليست أكثر وضوحاً وأكثر صراحة في أي مكان مما هي في هذه الحياة؛ فالجمهور يسيء الفهم بين المتغير الزائل الفاني، وبين المستقر الثابت الدائم.. إنه لا يفرق بين الوسيلة للغاية، وبين الغاية ذاتها.. يعشي البريق الزائف بصره فيخال البهرج الكاذب ذهبا ناضراً.. ويتشبث بالقشور دون اللباب.

ومجرد امتلاك المال لا يعني بحال من الأحوال أن الفرد في حياته ناجح. ومع أن الصورة التي تسحر بها كلمة "النجاح" الشخص المتوسط وتستميله إليها هي المال، فهناك آلاف من الناس ذوو ثروة مادية وفيرة في حال من الإخفاق يرثى لها. إنهم في أغلب الأحيان وحيدون، وعن الناس منقطعون، يائسون، قانطون.. والبخيل قد يكون لديه مال كثير، ولكن ليس هناك أي بخيل نال قسطاً من النجاح ضئيلاً.

فالمال وسيلة إلى النجاح، إذا استعمل بحكمة وتدبر. وحيازته يجب ألا تُزدرى أو يُستخف بها. فهو يمثل القوة والقدرة، ويدفع في الغالب إلى التيقظ؛ ويعبر عادة عن النشاط والهمة في كثير من المهن الدقيقة والأعمال الخاصة. وليس من شك في أن اقتناءه واستعماله بحكمة وتعقل يمكن أن يسهل بدرجة عظيمة البحث عن السعادة والنجاح، ولكن المال هنا وسيلة على تلك الغاية وليس الغاية نفسها.

والشهرة أيضا لا تتشابه في المعنى مع النجاح؛ فكثير من الناس ينفقون كل حياتهم في كفاح مرير وفي نضال عنيف للحصول على الشهرة، فلا يجدون من هتافات العامة، وصيحات استحسان الدهماء إلا

عدم الشعور بالرضا وعدم الإحساس بالغبطة؛ فالشهرة شيء من باب التحايل. وإنها لغرارة خداعة، لا أمان لها. فهي اليوم غير ما ستكونه غداً.. هي اليوم هنا، وغداً تفتقدها فلا تجدها. والغوغاء المذبذبون، متقلبو الرأي، يرفعون أبطالهم اليوم إلى أبراج الرضا، وقباب القبول، ليطرحوا بهم غدا إلى هوة النسيان السحيقة إذا خطرةُ وهم خطرت، أو سورة خاطر بدرت؛ يهتفون اليوم هتافات الاستحسان، وغداً يصفرون باستهجان، ثم لا يلبث أن تسدل عليه في شهور قلائل ستائر النسيان.. هذه هي مأساة التجربة المريرة التي عاناها كل من اصطلى بضع لحظات قصار بأشعة شمس التقدير السوقي الرخيص.

تقلبات الشهرة:

لقد كان ولنجتون – بطل موقعة ووترلو – يحتفظ إلى يوم مماته بخوذته المحطمة بالحجارة التي كان يقذفه بها الشعب الثائر في لندن بعد مرور مدة قصيرة على استقباله استقبالاً يليق بمكانة منتصر على نابليون ومنقذ للحضارة والعمران..

وجثمان الإسكندر الأكبر، ظل ملقى أكثر من ثلاثين يوماً بعد موته دون أن يتطوع أحد لوضعه في قبر يليق به..

ويوليوس قيصر، حكم العالم يوماً، وصرعه في اليوم التالي أصدقاء كنودون، وللجميل ناكرون، وغير هؤلاء كثيرون.

ليس ثمة إلا معيار واحد ثابت للنجاح، هو العمل الفذ لتكوين شخصية كاملة متكاملة، منسقة متسقة، قوية سوية؛ تكون فيها: قوة يضرب بها المثل، وحكمة مدخرة عزيزة مقدسة، وتوازن يصون لصاحبه هدوءه ووقاره، ويحفظ له سكينته ورخاء باله وسط عواصف الحياة الهوجاء، وقدرة على ضبط النفس تجعل الحياة أقرب إلى اللاهوت، وتحاسس [(١)] وتآلف يصبغ الأيام باللطف، ويخضب أكفها بالأنس والإيناس والرقة؛ وحب يملأ الحياة بالدفء وشذى الربيع والسعادة الأبدية.

إن أولئك الذين ينجحون في تحقيق هذه الصورة يكوِّنون من أنفسهم جماعة روحانية في عالم صوفي طاهر مقدس. ومع أن عددهم سيكون قليلا لا يذكر ولا يعتد به، إلا أن تأثيرهم ونفوذهم سينتشر إلى أبعد حدود الانتشار؛ لأنهم سلالة من النوع الأسمى، وإنهم لأشباه آلهة!..

إنهم يبجلون الحياة ويجلونها؛ وإنهم ليقودون أفراد الشعب إلى أعلى مرتفعات السمو والرفعة؛ وجودهم معنا أو على الأقل قربهم منا فيه خير وبركة؛ إن لمساتهم تحول كل شيء إلى موسيقى وابتهاج، وضياء وذهب.

إنهم يوقدون النور في محارب الإيمان؛ هم مخلصو العالم

---

(١) التحاسس: الاشتراك في العاطفة.

ومنقذوه. هم الحراس الذين يتقدموننا للبحث عن الخير. هم ساكنو التخوم عند أفق الأمل البعيد. إنهم المحسنون الخيرون المتصدقون، الذين هم للمجاهدين والمكافحين أشبه بظل صخرة شماء في أرض صلدة جرداء، يستريحون إليها، وبظلها يتفيئون..

النجاح الذي يشف الحياة، ويرفع قدرها، ويمجدها، يرتكز على مبادئ معينة الحدود، واضحة المعالم:

١. الأسس الفيزيقية يجب ألا نتغاضى عنها ولا نغفلها؛ فمن الناس من يتوهم – خطأً – أن النجاح زيادة في الصحة، ومظهر لاصطخاب كريات الدم الحمراء، وسهولة في الهضم. وهذا في النادر ما يكون صحيحاً. لقد عرف أكثرنا أشخاصاً لا يعتد بهم، ولا أهمية لهم إطلاقاً يعيشون في أتم صحة وأوفر عافية. ومع ذلك فالمميزات الجوهرية الأخرى للنجاح إذا أعطيت لرجل ذي بنيان متين وصحة موفورة سيصل حتماً إلى الهدف بسرعة فائقة.

إذن فلاحظ بعناية فائقة قوانين الصحة من الناحية البدنية والعقلية، واستعمل طاقة الرئة كلها بقدر ما تستطيع في التنفس الشعوري الغائي [٢]. كن حريصاً أشد الحرص على ضمان التخلص من فضول الجسم. ولاحظ قواعد التغذية المنظمة. مارس التمرينات الرياضية كل يوم بانتظام وبرغبة أكيدة لتكسب جسماً صحيحاً. تعلم كيف تسترخي، وكيف تنقذ

---

(٢) الغائي: ذو غاية.

جسمك من مجود التوتر المدمر. ثم لاحظ قوانين الصحة من الوجهة العقلية. فكر في الصحة بدل المرض، وفي القوة بدل الضعف، واضبط العواطف السلبية كالخوف والقلق والكآبة والغم وانقباض النفس والغضب. وستكون الصحة هي مكافأتك التي ستنالها جزاء ما بذلت من مجهود.

٢. المبدأ الثاني للنجاح هو أن تفكر تفكيراً صحيحاً، وتكون على وفاق تام مع قانون العلة. تعلَّم كيف تفكر "إن التفكير هو أرقى الأشياء، وأن تفكر تفكيراً صحيحاً بأن تخلق وتبتكر. فكل الأشياء تأتي عن رغبة، وكل صلاة مستجابة تكون عن حماس. إننا نصبح بتفكيرنا ذلك الشيء الذي نحلم به ونشتهيه".

اجعل حياتك الشخصية تسير على طريق معقولة رشيدة ولا تكن من المستبطنين الذين يبحثون عن بواطن الأشياء. دع اهتماماتك وميولك يغلب عليها طابع الخير للغير، بعيدة كل البعد عن الأنانية وحب الذات. استعمل الطريقة الاستقرائية في التفكير والتعليل من المعلوم إلى المجهول على أساس من مبدأ الواقع. ولا تفترض الأشياء، ولا تقبل المبادئ المضمرة، والاستنتاجات التي لا يقوم عليها دليل.

٣. أحكم عواطفك السلبية. ولا تجعلها تتحكم فيك أو تتسلط عليك. فليس النجاح خليقا إلا بالرجل الذي يستطيع أن يسود نفسه. أما الذين يستسلمون للخوف والقلق، ويستكينون للكآبة والغضب، ويذعنون للحقد والغيرة، ليسوا سادة بل عبيداً أذلاء.

اجعل حياتك العاطفية في حد المعقول. انقل انتباهك إلى ميول واهتمامات بناءة معمرة.. كن بشوشاً مرحاً فكهاً خفيف الروح.. حوِّل طاقاتك.. أبدل عواطفك السلبية بأخرى إيجابية.. كن عظيماً ورفيعاً سامياً في عالمك الذاتي.. رتب بيتك العاطفي، واعتن بتنظيمه وتنسيقه.

درب إدراكاتك:

٤. رق قوة ملاحظتك وحسنها. تبصر واهتم بما عجز الآخرون عن التبصر فيه والاهتمام به. راجع وافحص ما أخفق الآخرون في إدراكه أو معاينته أو الإحساس به. املأ لاشعورك بثروة من الإحساس بإدراك: الشكل واللون والصوت والحركة. عش في دنيا الملاحظة الواسعة الخصيبة ذات الثراء الغريز.. ادرس الأشياء بإسهاب: كالمباني، والأشجار، والأزهار، والجبال والمحيطات والأنهار والناس والحيوانات وغيرها. إن دراسة دقيقة لمعظم الأشياء المألوفة لك كأوراق الشجر والأزهار والأحجار مما تراه على جانبي الطريق في أثناء سيرك سيفيدك فائدة عظيمة.

إنما الإدراك هو أساس كل تحصيل ناجح، ودعامة كل عمل عظيم، سواء أكان في الصناعة أو الابتكار أو الاختراع أو الفن أو العلوم أو الآداب.

٥. كما أن التخيل يلعب دوراً رئيسيًا مهمًا في تحصيل النجاح؛ فعليك أن تواظب على تحسين ملكة التخيل بالتمرين الدائم. أغلق

عينيك وارسم صورًا وأشكالًا ذهنية صحيحة. انظر إلى الأشياء نظرة من يرى فيها صلات أو علاقات جديدة [٣].

والتخيل هو الذي يميز بين الإنسان والحيوان، ويفرق بين حياة الخمول والبلادة، وبين حياة التحصيل الخالق المبدع الطامح المتطلع إلى أعلى. بل هو روح العطف والود والانجذاب إلى مشاركة الغير في حالته، وإلى حب الخير.

وأنت ينبغي لك أن تتخيل نفسك في مكان زميلك لكي تحاسسه [٤] وتعطف عليه، وتعامله بما يستحق حتى يعاملك بالمثل.

"كل شيء تحب أن يفعله الناس لك، فافعله لهم: هذا هو القانون والأنبياء[٥]".

٦. يعتمد النجاح أيضاً على تمرين سار بهيج للجهد المبدع الخلاق. فمن ابتغى نجاحاً فعليه أن يرضى كل الرضا عن عمله، وأن يرى فيه ترضية إيجابية، وغبطة وسروراً. ونحن بإنجازنا الواجب اليومي على أنه طرفة من طرائفنا نجعل من العمل التافه آية كبرى، ومن الواجب العادي ترنيمة عذبة، وتسبيحة ملائكية.

---

(٣) أفردنا فصلا خاصاً بالتخيل في كتابنا "لكي تكون سعيداً" بسلسلة "اقرأ" رقم ٢١٧ فليرجع إليه من يشاء.

(٤) المحاسسة: المشاركة الوجدانية أو التشارك في العاطفة.

(٥) إنجيل متى ٧ : ١٢.

أدخل التخيل والحماس في عملك، وابعث فيه روح الحمية. ابحث عن لذتك العميقة وسرورك العظيم في الهمة الخالقة، وفي النشاط المبدع. كن بين صانعي ومهندسي وبنائي الغد الذي لم يولد بعد. ولا تخف من البدء في الخلق والإنشاء.

إن العبيد وحدهم هم الذين ينجزون واجباتهم بغير تفكير أو انتباه لما يعملون، كما كان حال الملايين من قبلهم. أما النفوس الكبيرة فهي وحدها التي تجد لعمل الأشياء سبلاً أسهل وأسرع وأكثر فعالية وأعظم نجاحاً. وهي وحدها التي تنير دروباً جديدا. وهي التي تحتفل بافتتاح نظم وتدابير ومشروعات جديدة.

٧. في الوقت الذي يقوم الرجل الناجح بإنجاز عمله اليومي على خير وجه يكون واضعاً عينيه على الهدف. ومعظم الذين صنعوا التاريخ كانوا يحملون في الوقت الذي كانوا فيه يعملون. فانظر إلى نفسك بعين خيالك كأنك تعمل الشيء العظيم الذي تود لو أن تقوم بعمله حقيقة. واجعل كل واجب عادي تم إنجازه بأمانة تحضيراً لهدفك الحقيقي في الحياة. راقب الذروة وضعها نصب عينيك. ثبت رؤيتك الرائعة على نجم في سماء الأمل متألق ثابت.

٨. انتفع بقواك اللا شعورية؛ فمنابع النجاح تكمن فيها. واعلم – إن كنت لا تعلم – أن أولئك الذين يتحدثون دائماً عن "النبوغ والعبقرية الهاجعة في داخلنا" لا يعيشون في الأوهام. فلقد أكد العالم النفسي المشهور "ولفريد لاي"، أننا جميعاً في اللا شعور سواء. والنابغة أو

العبقري يختلف اختلافاً بيناً عن المخفق في أن هذا الأخير مفلس من الموارد اللاشعورية للقدرة.

كن صادقاً مع نفسك:

٩. الإخلاص.. هذا هو الأساس، وبغير هذا العنصر الأساسي والمبدأ الجوهري النادر تنعدم الثقة، ويكون الخطر وعدم الأمان.

إذا كان المظهر أو المنظر ينبئ عن المخبر، وإذا كان الناس بسيماهم تعرف نواياهم، كذلك ذات الرجل الحقيقية تدوي وتصلصل في صوته؛ وتبدو من خلال عينيه، وتطبع نفسها على وجهه وسلوكه وهيئته وموقفه واتجاهه؛ وتبين واضحة في كل ما يفعل ويقول. أما قيمة الإخلاص فلا تقدر بثمن

إذ ربما لا تقبل أفكار الآخرين ولا توافق عليها، ولكن مهما تكن مجموعة المبادئ التي تختارها لنفسك دستوراً، خفياً مستوراً، فكن صادقاً معها، مؤمناً بها، واثقاً فيها. واجعلها لك قدوة حسنة تقتدي بها، ومثلا طيباً تحتذيه.

١٠. ثق بنفسك. إننا يجب ألا نخدع أو نغش أنفسنا. ويجب أن نثق بأنفسنا، وإلا فكيف يمكن أن ننتظر أو نؤمل أن يثق غيرنا بنا؟

إن قدراً معقولاً من الثقة بالنفس من ألزم اللزوميات، بل إنها ضرورة لا غنى عنها إطلاقاً. تخلص من كل أثر للشعور بالنقص. واعتبر نفسك

على أقل تقدير مساوياً لأي شخص آخر. واجه الحياة بشجاعة وثبات ورزانة.. والإخلاص كفيل بجعلك محبوباً من الجميع.

إذا وقفت أمام شخص ما قل لنفسك: "إنني لست أقل منك شأناً، إنك لا تزيد عني في شيء". أما إذا أحسست بنقص أو دونية سواء في شعورك الداخلي أو في تصرفك وسلوكك الخارجي فأنت لا محالة هالك مضيع.

١١. ليس ثمة كالحماس شيء يميز بوضوح الشخص الناجح؛ فحين يكون الفرد متحمساً، يستطيع في وجهه ضياء، ويشع من عينيه بريق؛ وتتدفق من صوته اهتزازات بها سحر يخلب الألباب. وهو من ثم لا بد ملفت النظر والانتباه إليه. تجتذب شخصيته القلوب والأفئدة. وتحمل كلماته الإقناع، فتحمل الغير على الاقتناع.

تعلم كيف تتكلم بوجهك. وكيف تجعل تقاطيع وجهك تعبر عما بنفسك، وتسجل أفكارك حتى لتجذب الأصم إليك؛ فالرجل الذي لا يغير أسلوبه في التعبير أو الكلام قلما يصل إلى الكثير، حتى مباريات كرة القدم إذا كان ينقصها الحماس والحمية لا تعدو أن تكون عملاً ميتاً لا حس فيه ولا روح.

١٢. اصنع المعروف، ورد الجميل لأصحابه إذا أردت أن تكون ناجحاً موفقاً.. هذا هو القانون الأسمى في الحياة.. كن محسناً جواداً كريماً، وضع نفسك في قائمة خدام الإنسانية العظام، الأمناء، وسدنتها

الأوفياء. هذا هو السبيل الوحيد لثبات النجاح واستمراره، "فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره".

ولم أجد الإنسان إلا ابن سعيه   فمن كان أسعى كان بالمجد أجدرا

اجعل الألفة والمعاشرة دينا عليك مستحق السداد، عندئذ ستجد مكانك حتماً بين الخالدين. ابن لنفسك شخصية فردية ذات نفوذ وذوات سيادة كي يكون في ميسورك خدمة الآخرين. ولا تنتظر ردا أو مقابلاً لما عملت أو أسديت، فلا حاجة بك إلى الانتظار. لأن كل شيء مرهون بوقته، وقانون التعويض كفيل بالاهتمام بالأمر.

كن مسرفاً في الخدمات الودية الخالصة لزملائك، واجعل حياة الآخرين أكثر خصباً وإثماراً، وأوفر حلاوة وعذوبة وأعظم سعادة وهناءة.

ولا خير فيمن ظل يبغي لنفسه   من الخير ما لا يبتغي لأخيه

اسع في كل غداة إلى إطعام طائع ذي مسغبة، أو مسكين ذي متربة؛ وإدخال السرور على بائس مكتئب؛ وبث لأمن والسكينة في قلب خائف خامد الهمة، وبعث الأمل في قلب غريب ضل طريق الحياة.

هذه هي المبادئ الإنسانية التي نصَّت عليها جميع الديانات السماوية..

وهذا هو السبيل القويم إلى النجاح

عجائب الحياة السبع

عندما يأتي الموت، ويهمس في أذني قائلا: "لقد انتهت أيامك"، سأقول له: "لقد عشت في الحب ولم أعش في الزمن!" وإذا سألني: "هل ستخلد أغنياتك؟" فسأقول له: "لا أدري، ولكني أعرف أني وجدت الخلود في أغنياتي!"

" طاغور"

لا بد من الحب في اتصال الإنسان بالإنسان فإن هذا الحب هو الوسيلة الوحيدة الممكنة لاستمرار حياة الإنسان!

"تولستوي"

الماضي لا يموت أبداً، فهو حي فينا، وهو أقدم مرشد في حياة الأفراد والأمم، وما روح الأحياء إلا مؤلفة من أفكار الأموات.

"جوستاف لوبون"

بحث الناس فوجدوا بعد بحثهم عجائب الدنيا السبع، قديمها وحديثها. ولكن هذه العجائب السبع لا تزال إلى اليوم غير مطلقة وغير شائعة، لأنها تتغير مع كل كشف جديد وعجائب الزمن الحاضر تسمو

دائماً على عجائب الزمن الماضي وتفوقها.

ولكن هناك سبعة قوانين بسيطة للحياة هي في الواقع عجائبها الحقيقية، وإنها لمطلقة وشائعة، ولا يمكن نقضها أو دحضها بأي حال. ولا يمكن أن نقول إنها حديثة، ولا يمكن أن تهرم أو تشيخ أو يتقدم بها العمر.

هذه القوانين البسيطة من السهل اكتشافها، والناس جميعاً يجب أن يجدوها إذا ما أرادوا لأنفسهم السعادة.

إننا نستعملها كل يوم، بل إنها تتحكم فينا كل يوم، وتتسلط علينا كل وقت. حتى إذا ما اعتدنا القوانين الثابتة لمجتمعنا وجمهورياتنا ومصالحنا المشتركة، إذن لوجدنا أنفسنا قد ألفنا قوانين الحياة واعتدناها.

إن قوانين الحياة هذه تفوق كل القوانين التي وضعها الإنسان وتبرز عليها، وباعترافها بها وتسليمنا لها ننتهج خطة الحياة السامية السماوية المقدسة. وهذه القوانين إنما تؤدي عملها سواء أكنا نعلم بذلك أم لا نعلم. ولكننا إذا عرفناها، وتحققنا منها، واعترافنا بها ثم استعملناها مع العلم بصدقها وصحتها، ستغدو الحياة أكثر سهولة، وأكثر يسراً وتسودنا السعادة جميعاً.

قانون السعادة:

أول قانون من هذه القوانين هو قانون السعادة.

إنني اليوم غير سعيد. إن عملي مرهق وممل. ليس لدي ما يستوجب الاهتمام. ولا شيء عندي ذو قيمة أو أهمية. ويبدو لي أن ظلا من السخف والعبث يغطي كل جهد. وأن كل مسعى يبوء بالإخفاق. مع أن الأمس كان مشرق الديباجة، صافيا، لا غيم فيه ولا قر!.

ألم تكن الأرض هي الأرض، والسماء هي السماء؟.

ألم تكن الأشياء المادية التي كانت على وجه البسيطة بالأمس كالموجودة عليها اليوم؟

كنت سعيداً بالأمس.. إذن فما بالي اليوم مغتماً، منكسر الخاطر، كسيف البال؟

لماذا أرى جميع رؤاي وخيالاتي مدلهمة، معتمة؟

ومالي أرى نهاري كما لو كان ليلا بهيماً ليس له آخر؟

برز من شعوري على حين فجأة سؤال آخر هو في حد ذاته جواب على الأسئلة الأخرى التي سبقته:

هل أنجزت اليوم كل تلك الأشياء التي قالت لي نفسي – مشيرتي

السماوية، وناصحتي الإلهية – بأنه يجب أن يتم إنجازها؟ لا!.

من المنطق، سواء أكان صائباً أم مخطئا، أن سعادتنا موصولة الأواصر بإنجازاتنا، التي تتصل هي الأخرى بإمكانياتنا.

إذن فأنا غداً سأكون سعيداً إلى أقصى حدود السعادة، وسأصغي جيداً إلى الصوت الذي يأمرني بعمل ما ينبغي عمله، وسأستمع إلى نصحه، وسأؤدي واجبي على خير ما يكون الأداء.. سأخلق وأبتكر، لأن ذلك الذي أقوم بعمله لا يمكن أن يكون، ما لم يكن لي فيه مصلحة.

قانون العدل:

يغويني شيطاني في وقت من الأوقات لأن أقول: "لا عدل!" إنني لا أبرح أشقى وأكدح أياماً طويلة مملة، وليالي داجية مضنية حالكة الظلمة سنين عدة، دون ثمرة وبلا جدوى. وما يجنيه الآخرون من أجور سخية لا يتأتى لي الحصول على مثلها. ومع أن أعبائي أكثر فداحة وأكثر وقراً، حتى لينوء بها ظهري، فإن أعمالي شاقة إلى أبعد حدود المشقة قاسية ممعنة في القسوة.

ولشد ما يتملكني الحزن والألم، وتتشعبني الهموم، وتتوزعني الفكر، حين أرى المكافآت المادية تغمر الذين لم يكدحوا مثلي، ولم يبذلوا مثل أو نصف ما بذلك من مجهود؛ فأرفع عقيرتي دون تفكير، وأصرخ مرة أخرى: "أين العدل؟.. لا عدل!"

وحين يتلاشى صدى صراخي أسمع همساً رقيقا لينا من أعماقي، من النفس التي فيَّ، عن طريق عقلي: "نعم.. ولكنك كوفئت بما اجترحت، وجوزيت بما اقترفت. ألم تشعر بالغبطة والسرور يشملانك أثناء تأدية عملك، وحين إنجازه؟ أليس هذا هو الأجر العظيم؟.. وعندما يتم أحد الأعمال التي تقوم بها، ألم تولد فيك قوة جديدة وينبعث منك عزم جديد، وتبدأ في عمل آخر؟.. هل يمكن أن يكون هناك في الوجود مكافأة أعظم؟.. ألم يكن الأجر مجزياً عادلاً؟".

حينئذ يقتنع وجداني منطقياً بأن العدل شيء سماوي، مطلق، وأشعر بتلك الهبات، وتلك العطايا التي قد حصلت عليها فعلاً لقاء ما أنجزته من أعمال، وما أديته من واجبات؛ فنحن نأخذ بقدر ما نعطي. أما الذين يخيل إلينا أنهم يأخذون دون أن يعطوا؛ فإنهم يحصدون الهشيم الذي يغدو فيما بعد تراباً تذروه الرياح الساخطة بعيداً، أو رماداً اشتدت به الريح في يوم عاصف.

قانون الكثرة:

كنت أسير يوماً في جهة ما بالطريق الزراعي، فرأيت ما يراه غيري دائماً في روحاته وغدواته: حقول القمح المترامية الأطراف، التي لا يستطيع البصر أن يدرك أن يدرك مداها، ومساحات كبيرة شاسعة لا تحدها حدود من الأرض الطيبة، بسقت فيها الأشجار ونما فيها الزرع وكثر الضرع..

فكرت حينذاك في الملاحات التي لا ينفذ الملح منها، وفي آبار البترول التي لا ينضب معينا، وفي البحار والأنهار التي لا يمكن أن يجف ماؤها أبد الدهر.

مع هذه الصورة الرائعة التي استعرضتها في مخيلتي جاء غيرها: آلاف المصانع، وآلاف المعامل التي تأخذ تلك الخامات من نتاج الطبيعة ومحصولاتها ثم تحيلها بقوى الإنسان الجبارة، وبنبوغه العبقري المستنبط إلى منتجات منجزة جاهزة. وهذه بدورها تمد الإنسان بطعامه ومأواه وطرق مواصلاته، وأدوات لهوه وتسليته، وأوقات فراغه حيث يتسنى له الحصول على الألفة والمعاشرة، وحيث المجال للتفكير في بحث دقيق أو فحص عميق، يقود إلى معرفة جديدة.

إن أرضنا فيها كل هذا الفيض الغريز، وهذه الكثرة الكثيرة المفرطة، لكل الناس قاطبة. فإذا تسللت مجاعة أو مسبغة — لا قدر الله — إلى جزء من أجزاء الأرض، نجد فيضاً فائضاً من المحصولات في جزء آخر. وطرق النقل الكثيرة السهلة كفيلة بتسوية الحال. حتى سكان الأرض في زيادة مستمرة، وازدياد مطرد، ولا يزال هناك على الدوام المزيد.

هذا قانون صارم لا يلين من قوانين الحياة؛ فإذا ما تفهمناه واستوعبناه، فلن تعوق سموم الشك شراييننا، ولن تعرقل ميولنا، وما دام هناك كثرة للجميع، فسنأخذ جميعنا بكثرة.

قانون العادة:

كثيراً ما نسمع أن الإنسان محكوم بعاداته، وأن الناس عبيد العادة؛ فنحن نجتاز كثيراً من التفصيلات المعيشية، كارتداء ملابسنا في الصباح، وتناول وجبات غذائنا في ساعات معينة، ونتخذ لراحتنا واسترخائنا ومسراتنا أوقاتاً معلومة، ثابتة، دون أن نبذل في ذلك أي تفكير. هذه الأشياء كلها أضحت عندنا بحكم التكرار عادة.

ولكن هذا لم يك إلا قليلا من كثير من عادتنا؛ فهناك كثير غيرها، كثير جداً. وإنها لتلعب دوراً مهماً عظيم الأهمية فيما نلمسه من الحياة. فمن المهم أن نعرف كيف نرحب بالناس ونحييهم. وكيف نلتقي بهم في أوقات العمل، وفي المجتمعات.

دعنا إذن ندبر لأنفسنا العادة التي يتعين علينا أن نكونها، ونعتدها كما اعتدنا غيرها من أشياء في حيواتنا. إنها بالحق أكثر أهمية لنا وأكثر لزوما، وهذه هي بعض العادات التي أرى أنها تستحق منا كل عناية وكل اهتمام. ولقد أفادت الكثيرين إفادة ما كانت لتخطر لنا على بال: الترحيب ببشاشة وبوجه باسم مستبشر، ورؤية جانب الخير في رفاقنا وأصحابنا؛ واستشفاف الجمال، والسعي الشريف، والاجتهاد بجد وهمة، وإبداء الحب والإعراب عنه، والتعبير عن السعادة والتقدير.

العادات هي الألوان التي تضع اللمسات الأخيرة على صورة ذاتنا

في الحياة، وما دمنا نريد الصورة جميلة. إذن علينا أن نستعمل ألواناً نظيفة رائقة واضحة سعيدة.

قانون الحكمة:

الحكمة هدف كل الناس، سواء أقرروا ذلك بطريق مباشر أم غير مباشر؛ لأن الحكمة ضالة المؤمن، وفيها تكمن السعادة. والناس في استطاعتهم أن يكونوا حكماء إذا استعملوا المواهب التي تكمن في ذات أنفسهم. والمعرفة مهما كثرت أو اتسعت ليست إلا ممراً ضيقاً إذا قرنناها بالحكمة، طريق الحياة الفسيح.

علينا أن نتفهم هذه الأشياء جميعاً بعقولنا وقلوبنا؛ علينا أن نفهم جيداً ونضع نصب أعيننا: أن الخير لا بد أن ينتشر، وأن الرخاء سيعم الأرجاء، وأن العدل سيسود ويبلغ حد الكمال، وأن الحب هو القوة السائدة المسيطرة في الحياة، وأن السعادة جزاء الكد والكدح.

هذه هي الحكمة.. كل تلك الحقائق هي التي خلقت الحكماء في العصور القديمة، وإنها لمعروفة لدى حكماء العصر الحديث.

وهذه الحقائق بسيطة في غاية البساطة، واكتشافها سهل ميسور. كل ما نحتاج إليه هو أن نستعمل حواسنا المادية في جميع تصرفاتنا ومعاملاتنا مع الآخرين: نستمع إليهم، ونتحدث معهم، وننظر إليهم، ونهتم بهم، ونتذوق الأشياء التي يستنبتونها لنا من بطن الأرض لنطفئ بها

شهواتنا، ونشعر بالأشياء التي يصنعونها لنا باستمرار لأجل متعتنا ولذتنا.

إذن فلنسجد لله شكراً على تلك الحواس التي وهبها لنا، وأنعم علينا بها، وعن طريقها أوتينا الحكمة. "ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً"..

قانون الحب:

الحب.. يا لها من كلمة جميلة، ولفظة مستعذبة، لا يكاد الإنسان يخطر على باله ذكرها حتى يخفق لها قلبه، وتهتز لها مشاعره..

الحب.. إنه وحي وجداني، وإلهام نفسي، وعاطفة لا يخلو منها قلب حساس.. إنه الهادي إلى طريق السعادة اللا نهائية، وهو منبع السعادة العظيمة الأبدية..

صحيح، أن السبب المباشر لوجودنا في الحياة هو الحب عن طريق تلك الرابطة المقدسة التي تربط بين قلبين، وتؤلف بين نفسين، ولقد غذينا في أثناء حبونا وفطامنا، وربينا إلى أن اكتمل شبابنا بواسطة حب والدينا لبعضهما.

إن جهادنا وكفاحنا في مرحلة نضجنا وبلوغنا كان يحفزنا إليه الحب المتبادل بيننا وبين الجنس الآخر. وما ينتج عن ذلك من حمل، إنما هو مولد العاطفة الغامضة: حبنا للكائنات البشرية التي تكافح معنا كتفا بكتف لنبني مستقبلا أكثر جمالاً، وأكثر حسناً، وأعظم سعادة.

إن المثل الأعلى الذي فاز وانتصر وأضحى حقيقة واقعة، وإنما الذي مهد السبيل إليه هو الحب الأخوي الذي التمس للبشرية: الحب، والعدل، والمساواة، والحق في البحث عن السعادة.

إنها سلسلة ليس لها نهاية تلك التي تجلب للإنسان نجاحاً أسمى، وتقدماً أرقى. أما القوة الدافعة من خلفها جميعاً فهي الحب، ونحن حين نتحقق من هذه القوة الهائلة، ونعترف بها، ثم نعمل معها بقلوبنا، ستفتح لنا دنى جديدة، وتظهر لنا آفاقاً جديدة فيها: كل الجمال، وكل البهاء، وكل السعادة.

قانون الخلود:

إن الأعوام تزحف عليّ ومعها رهبة طبيعية من النسيان.. هل أنا – من يملك ذلك الأمد القصير من حياة في جسده – لن ألبث أن أذهب إلى الأبد.. أتحلل وأصير إلى تراب.. إلى لا شيء؟..

لماذا إذن كل هذا العمل، وكل هذا الكد والكدح؟.. ولم تلك الآمال، وذاك الطموح، إذا كان من المحتم عليّ أن أترك هذا كله، وأرضخ إلى اللا شيئية، مذعنا للعدم؟

عندئذ جاءت لمعونتي كل من المعرفة والحكمة؛ فخمد الشك، وهدأ الريب. استرجعت لي المعرفة والحكمة، عن طريق ذاكرتي، دراساتي في العلوم. لقد برهنت لي دارساتي في الطبيعة، وفي علم

الأحياء والكيمياء، أن ليس هناك خلق أو هدم في الحاسة المطلقة. وإنما الذي يتغير هو الهيئة أو الصورة فحسب. فمن البذرة تنبت الشجرة، ومن البيضة ينشأ النسل والذرية.. وفي المركبات والأخلاط تتواجد العناصر.. وهكذا الحياة مجرد تغير دائم مستمر للصورة.

وكذلك الحال في الفكر، وفي الإلهام، وفي الأشكال التي يستنبطها الفن؛ فروح الفنان أو نفسه التي في عمله المنجز هي بكل تأكيد كالأشياء التي نسميها المادة. ذلك الجزء من نفسه له صورة قابلة للتغيير. إذ يأتي فنان آخر ويرى روح الفنان السابق في العمل فيدمجه في عمل من أعماله، وبذلك يخلق صورة جديدة.

وهكذا تسير العملية على هذا المنوال إلى ما لا نهاية.. أشكال تتغير على الدوام وباستمرار. ولكن بحالة أكثر صفاء، وأكثر تنقيحاً.. ومستوى الصورة الجديدة دائماً أعلى من التي قبلها.

يجب أن نعرف أيضا من هذا القانون أن الإنسان إذا مات فإن جسده –كما يبدو لنا – هو الذي يبلى ويفنى ويلحقه العدم، أما روحه فتبقى خالدة تشف من عليائها على ما قام به صاحبها من أعمال وآثار تجدد ذكراه. ولسوف يخلد اسمه خلود الزمن، ويلي ذكره ما دامت الأرض أرضاً والسماء مقروناً بالثناء والإكبار.

وإنما المرء حديث بعده فكن حديثاً حسناً لمن وعى

لا تبدد قوة فكرك

لا شيء جميل أو قبيح، ولكن التفكير يجعل منه كذلك.

"شكسبير"

أفكارك تجلب إليك قوى من الخارج من ذات النوع الذي تخزنه في نفسك.

"راكسين"

في كل إنسان قوة مفكرة عليه أن يفسح لها مجال التفكير.

"ماردن"

إذا كنت قد أديت للمجتمع أية خدمة، فالفضل في ذلك للتفكير في صبر وتؤدة.

"سير إيزاك نيوتن"

إن عشرة القدرة التي تبددها في التفكير الطائش العقيم، إذا أنت وجهتها بتعقل وبفطنة وإدراك إلى نواحي الصحة والسعادة والنجاح، كنت إنساناً مختلفاً تمام الاختلاف. فهذا التبديد من الأمور الخطيرة. وإني لا أذكر أن هناك إنساناً بلغ تمام الفكر وكماله وقوته التي يستحقها أو

يستأهلها بحق. حتى ولو كان هذا الإنسان مثل توماس إديسون الذي لم يستعمل من خلايا مخه أكثر من ٧٥% - كما قرر العلماء - فالإنسان إلى الآن لم يدرك الاستيعاب الكامل، والفهم الصحيح لقدرة فكره.

والأفكار تأتي وتروح بسهولة عظيمة، بل إنها تخطر وتسرح بسرعة فائقة، حتى إننا إذا تعجبنا في وقت من الأوقات لأمرها، وتساءلنا أين تذهب هذه الأفكار، ومن أين تأتي؟ لتملكتنا الحيرة من أمر سرها، ونعود أدراجنا مرة أخرى إلى تيارات الفكر التي تعودت عقولنا الانسياق معها عن طريق العادة راضية مرضية، قانعة بالاعتقاد أن هذه الأسرار يعجز عن تفسيرها الإنسان، وليس يدرك كنهها إلا علام الغيوب.

ثم إن الحياة حركة دائبة، والفكر جزء من الحياة، والحياة لا يمكن أن تقف ساكنة هادئة بأي حال. وهناك من تيارات الفكر ما لا يمكن أن يصدها أو يعوق سيرها أي سير غامض.. تيارات تشق طريقها خلال تخوم وحدود يستحيل اختراقها، إنها هي التي تولج كثيراً من الناس في متاهة من الفكر يشعرون فيها بعجزهم عن ضبطه، وضعفهم في متاهة من الفكر يشعرون فيها بعجزهم عن ضبطه، وضعفهم في التحكم فيه، فيولون عنه مدبرين.

يجب علينا أن نفكر، أما الذين يخفقون في توجيه طاقة فكرهم تجاه الأعمال الإنشائية والبناءة، فسرعان ما يجدون أن هذه القوة تنصرف من تلقاء نفسها إلى الأعمال الهدامة، المخربة.

لقد كان في كل عصر من العصور عقول لم تقنع بالانسياق مع تيارات الفكر العامة، الشائعة، فانفصلت عن الجمهور، وانسحبت وحدها في مجريات جديدة. أما عقولنا، التي استمالها التحول من أسلوب التفكير الذي اعتدناه ودربنا عليه، فقد اقتفت آثار هؤلاء القادة، وحذت حذوهم، وانساقت مع تيارات الفكر الحديث.

قد يسأل البعض: "ما هذا الذي نسميه فكرا؟" ويلتمسون من أنفسهم الجواب.

كانت التراكيب العجيبة لمخ الإنسان تباشر عملها من قياس، ومن وزن، ومن مقابلة للحقائق المعلومة إلى أن قرر الوعي أو الوجدان أن الفكر قوة محركة ديناميكية ذات قيمة تفوق الحصر، نتيجة لتقديرات معينة لحركة أثارتها القوى الخارجية في التركيب العضوي.

والإنسان بطيء، متمهل في الكشف عن كيفية انتفاعه من قوى الطبيعة الهائلة، ولكن حين تسترعي انتباهه القدرة التي تعبر عنها تلك القوى وتظهرها، ثم يبدأ يفكر كيف يجعل هذه القدرة تعمل له ولغيره، فلن يطول به الزمن حتى يكتشف لنفسه سبيلا.

لقد كانت هناك أعمال عجيبة منذ الأيام التي كان فيها الفلاح يحسب أنه من الضروري وضع حجر في طرف من زكيبة القمح التي يحملها فوق ظهر حماره لكي يحفظ توازن القمح في الطرف الآخر. إلى أن جاء العبقري الذكي الذي اكتشف فكرة اعتبرت حينذاك من الأفكار

النيرة المشرقة، هي أن الحجر لا لزوم له بتاتاً، والقمح يمكن وضعه في كل من طرفي الزكيبة.

لقد كانت بالحق خطوة جريئة نحو التقدم، ونحن لا يمكن أن ننجح أو نتقدم بطريقة أخرى غير توالي الخطوات وتعاقبها، ولكننا يجب أن يكون لدينا استعداد للاقتناع والتساهل والتسامح، إذا نحن أملنا نجاحاً ورجونا تقدماً.

إن الشلال الذي تبددت قدرته خلال جميع العصور، حين كان الإنسان يجهل المنافع والمزايا التي كان يمكنه أن يستغلها منه، قد استغلت أخيراً لتمده بالثروة والسعة والراحة والرخاء والسهولة واليسر، فهو يسع كل هذا وأكثر من هذا.

والبخار الذي كان يرفع أغطية الغلايات عند كثير من الناس دون أن يثير فضولهم، اجتذب أخيراً انتباه عقل رفض أن يطلق الأفكار التي أوحى إليه بها أو يتركها تتفرق بدداً، إلى أن وجد هذا العقل وسيلة حول بها للنفع تلك الطاقة المبددة الضائعة. وكانت النتيجة أن القدرة التي كانت تلهي نفسها وتسليها مع مثل هذه السخافات المرحة كرفع أغطية الغلايات استغلت لتقوم بالعمل، باعتدال في بادئ الأمر، حتى أضحت للإنسان أكثر من يده اليمنى، ومكنته ولا تزال تمكنه من إنجاز أشياء لم يحلم بمثلها جيمس وات.

والقوة المائية، بضجيجها وعجيجها، انتزعت اهتمام الإنسان

وحملت إليه الأنباء السارة، والبشائر الطيبة البهيجة عن منافعها، مضافاً إليها قدرة البخار المتسللة الزائفة المراوغة، صنعت الوسيلة التي لا تزال إلى الآن من أكثر الأعمال العظيمة غرابة، ألا وهي الكهرباء. تلك القدرة اللا منظورة السرمدية، غير المحدودة، التي أذعنت واستسلمت لزحف تقدم الإنسان وسير نجاح البشرية قدماً إلى الأمام حتى باتت أداة الإنسان وعدته التي لا غنى له عنها.

وفي هذه الحقبة من الزمن، كما لم يكن من قبل، تحول انتباه الإنسان إلى القدرة أكثر هدوءاً، وأكثر سكوناً، وأكثر تسللا وزوغاناً. هي أشبه بتلك القدرات التي تعلم الإنسان كيف يستعملها ويستخدمها.. وإنه ليبدد طاقاتها، ويسرف في تبديدها خلال عصور لا عد لها ولا حصر، هي قدرة الفكر.

هذا الفكر هو الذي أتعب الإنسان وأجهده، وأشقاه وأنهكه، وأضناه وعذبه، هو الذي قادة إلى موارد التهلكة، وأدى به إلى المخاطر والمشاكل والصعاب، وهو الذي سما به إلى عالم الخيال، وارتفع به إلى دنيا الأحلام، حيث تحققت أعز أمانيه، ثم استفاق ليجعل من أحلامه حقائق واضحة صريحة..

لقد كان لعنة من أسوء اللعنات، وبركة من أعظم البركات. لقد كان نقمة، وكان نعمة. إنه جزء من ذات نفس الإنسان، وطاقته القلقة المتبرمة، التي لا تكل ولا تمل، والتي لا تخمد ولا ترتوي، والتي تتدفق على مخه إلى أن يسعفه لا شعوره، ويرفع عنه الضغط والمجهود، ويسمح

له باستعادة ذاك التوازن في مراكز العصب التي تمكنه من تحمل التضارب والتناقض المستمر مع الفكر، والنشاط المرافق له الذي يستحثه عليه.

ويسأل الإنسان السؤال نفسه الذي سأله من قبل حين وقف وجهاً لوجه مع القدرة المبددة: "ما الذي يمكنني أن أفعل بها؟.."، "كيف يمكنني أن أسخرها لخدمتي، وأستخدمها لمنفعتي؟" ومرة أخرى تشرع آلات المخ في العمل على إيجاد إجابة للسؤال. وشيئاً فشيئاً تتجمع في عقول أولئك الذين درسوا باستفاضة معرفة الفوائد لهذه القدرة الشائعة المألوفة، والتي أسيء فهمها.. ومن ثم تنتقل إلى العامة، وهؤلاء بدورهم هم الذين يقولون لك إن تبديد الفكر في الماضي يشمل التفكير الباطل الذي ليس له غاية ولا هدف.

وفجأة يسأل الرجل المتوسط نفسه عما يفكر فيه. يقول أحدهم: "فيم كنت أكفر؟.. إنني أعرف بالجهد وبكل صعوبة خليطاً من الأشياء، منها الطيب، ومنها الرديء.. منها الحسن، ومنها القبيح.. ومنها ما بين ذلك.. ما أشق عملي وما أصعبه!.. كم أكون مغتبطاً جذلاً حالما أفرغ منه.. ما أغبانا وما أحمقنا! هل الحياة وما في الحياة سوى سلسلة من المتاعب والمضايقات؟"

ويقول آخر: "إنني أفكر في روعة الدنيا وما فيها من الحسن والجمال والرواء!.. فتنة وبهجة هي الدنيا.. هذه الحياة التي تمني بتلك الأفكار الجميلة، وبتلك العواطف النبيلة؛ وتلك الإحساسات الرقيقة،

وهذه النسمات العليلة، وهذا الهواء النقي المنعش، وهذه المناظر البهية الرائقة، المونقة الرائعة!. إنني كنت أفكر في أني أريد دوماً أن أملأ قلبي وروحي بتلك العواطف العظيمة، وتلك المشاعر النبيلة، وأحتفظ لنفسي بها.. كم أود لو أكون أهلاً لهبة الحياة التي لا تقوّم بثمن ولا تقدر بمال".

وهناك عقول قليلة تقف عند غاية. والشخص المتوسط الذي ليست له خطة في الحياة، إنما يقف حائراً متردداً فيما يريد. وهذه الحيرة تجلب له بلبلة وارتباكاً ذهنياً.. وهذا الارتباك الذهني يسمح بالدخول لكمية من الأفكار الهدامة المخربة التي تجعل من الإنسان شخصاً بائساً، عليل النفس، مخفقاً خاملاً.

والناس تواقون بطبيعتهم إلى الأشياء التي تجلب لهم أغلى مسرات الحياة، وأشهى هباتها. ولكنهم خائبون فاشلون في أن يفهموا أو يدركوا أن حلقة الوصل بتلك القوى إنما ترقد في ذات أنفسهم، وأنهم دائموا البحث عنها خارج حدود ذاتهم.

والرجل الذي ليست له غاية شريفة قوية أو غرض نبيل عظيم في الحياة، إنما يقطع عن قصد وتعمد "خط الاتصال مع القدرة"، ويحرم نفسه متع الحياة ومسراتها التي قدمت إليه دون مقابل.

ثم إن الفكر يتبدد بتركيزه على غرض باطل لا يجدي نفعاً، والطاقة تتبدد بنضالها في إنجاز أفكار وتنفيذها بأساليب ثابتة من الفكر لا تقدم

شيئاً يستحق المجهود.

إننا نفكر في أنه ينبغي علينا أن نعمل كما عمل غيرنا، وهكذا يحكم الفكر أفعالنا ويسيطر عليها. إننا نقف لنتأمل أو لنحسب كم فقدنا من طاقات فكرنا وطبيعتنا، وكيف يمكننا أن نستعملها على خير ما يكون الاستعمال.

إننا نفكر في أننا يجب أن نكون فقراء، على كثير أو قليل من التعس والحزن والاكتئاب. لأننا كنا كذلك، في حين أن كل من عدانا يكافح من حولنا. إن من الناس من يسمح للماضي بأن يلعب دوراً وخم العاقبة في حياته بدلاً من أن يزود نفسه منه بمثل طيب يعاونه على توجيه نفسه، ويساعد على إرشاده في المستقبل. ومن الناس من يخفق في التفكير لنفسه ويتسلط عليه كثير من شئون الغير: ما الذي أتى به آباؤنا وأمهاتنا، وما الذي أنجزوه من أعمال؟ ما الذي يفعله وقومنا، وما الذي يقوم بإنجازه زملاؤنا؟..

لماذا ترضى لنفسك بأن تقف في صف واحد مع مثل هؤلاء المخفقين، والتعساء، والخاملين؟..

إن للفكر براعة فائقة، ومقدرة عجيبة في إنتاج ما يقدمه، ومن العجب العجاب أننا ونحن نعرف هذا عن تجربة، نسمح لأنفسنا بالاستمرار والمثابرة في التفكير بإلحاح في أشياء لا نحبها ولا نريد أن نقوم بعملنا. بينما يكون الفكر طول الوقت جادا في البحث عن بعض

وسائل يعبر بها عن نفسه تعبيراً مادياً.

إن الأحلام العقيمة الفارغة، والأوهام التافهة، لن تنجز شيئا البتة؛ ولكنه التركيز القوي الفعال المتبع بالحركة هو الذي يحمل قدرة الفكر على العمل الذي نرغب في تأديته. أما أن نجلس ونفكر أننا في حالات وصفات من المثل العليا فهذا سهل لو كان يجدي. ولكن يجب علينا ألا نفكر فحسب، بل ينبغي علينا أن نعمل إذا أردنا تحقيق مثلنا العليا. فعن طريق تحويل الطاقة إلى أنماط وأشكال أخرى يجد الفكر تعبيراً وبإيجاد التعبير يتم العمل.

والفكر سريع الحركة حفيفها، وحركاتنا البطيئة المتأنية لا يمكن أن تتابعها أو تلاحقها بأي حال. ولكن في إمكاننا أن نرتب بداية. وبعمل القليل الذي يرقد في قدرتنا، وبإضافة القليل إلى هذا القليل، يوما بعد يوم، عن معرفة ودراسة، يمكننا أن نحسن بالتدريج قدراتنا التي كانت فيما مضى خاملة هالكة مضيعة. فالأشياء العظيمة إنما تنتج دائماً من وصل أشياء صغيرة بعضها وصلاً بارعاً، وضم شملها بمهارة وإتقان.

وباتخاذنا الخطوة الأولى نحصل على القدرة التي تساعدنا على اتخاذ الخطوة الثانية، وإذا كانت لدينا الفكرة النافذة الصائبة عما نرغب أخيراً في إنجازه فستبقى العضلات أمينة على واجباتها بوساطة التركيز إلى أن نبلغ الغاية التي نرجوها ونأملها، وندرك الغرض الذي نستهدفه.

هناك طاقة كبيرة ووفيرة أكثر مما نظن تتبدد في المحادثات

العقيمة، وفي ذرع الغرفة ذهاباً وإياباً دون جدوى، وهذا الإسراف في الطاقة الميكانيكية هو النتيجة الحتمية والتي لا مفر منها لتبديد الفكر.

وإن الرجل الذي يعمل على تحقيق أحلامه، إنما هو الذي يركز أفكاره على غرض بعينه. ولا يسمح لنفسه أن يحيد أو ينحرف عن هذا الغرض حتى تتحقق مثاليته. إنه ليصون طاقته ويوجهها نحو هدف معين كالهداف الذي يركز انتباهه على الهدف عاملاً على إصابته. إنه يترك عقله لتنوع الفكر واختلافاته، ولكنه لا يسمح لأي إيحاءات مضادة أو عكسية أن تعوق أثر تفكيره الذي ينويه أو الذي صمم عليه.

إنني لا أقصد أن يكون الإنسان وقوراً متزمتا أكثر من اللازم، وإنما يجب أن يتخذ لنفسه لحظات من اللهو البريء يجدد فيها نشاطه بالتسلية والرياضة لكي يوازن بين حياته وراحة عقله، حتى يمكنه في كل وقت وفي كل حين أن يكون مالكاً لعقل متزن نشيط متيقظ مستنير، لا عقل مبتذل تافه، ممتهن من فرط التعب والإجهاد.

إنها ليست حياة إنكار الذات هي التي أدافع عنها، وأدعو إليها، ولكنها الحياة القويمة المستقيمة. وإنك إن لم تكن درست علم النفس دراسة وافية، فسيكون لديك في الوقت الراهن فكرة غامضة غاية الغموض، مبهمة ممعنة في الإبهام عن عظمة عقلك ووظائفه.

وليس من الضروري أن تظل عاجزاً، تعيساً، عديم الكفاية.

آمل أن يكون في حديثي هذا حافز ينبهك إلى فهم إمكانياتك وتحقيقها، ويستفزك ويستثير همتك إلى العمل.

لا تلم حظك

الرجال السطحيون يؤمنون بالحظ، والرجال الأقوياء يؤمنون بالسبب والنتيجة.

"**إمرسون**"

إذا كنا ناجحين اعتقدنا أن التوفيق قد جلبه الجد والقدرة، فإن أخفقنا قلنا إن المسألة مسألة حظ.

"**ماندر**"

الذي يجيء في المرتبة الثانية بعد اقتناص الفرصة، معرفة طريقة الانتفاع بها

"**دزرائيلي**".

الفرص من طبيعتها النفور والابتعاد، تمر مسرعة، ولا يمكن لسوى الرجل الحازم أن يقبض عليها.

"**ماردن**"

إن في معظمنا لإثارة من خرافة؛ فنحن لا نخاف من الرقم ١٣ ولا نتشاءم منه؛ وقد نمر تحت سلم دون أن ينتابنا فزع، أو يلم بنا وجل، أو نحس بشيء من الرهبة؛ وقد لا يزعجنا رؤية قط أسود اللون يعترض

سبيلنا. ولكننا إذا تأملنا حياتنا وأنعمنا النظر فيها وفي أحوالها، ودققنا البحث في مسالكها وجدنا أننا نعزو كثيراً من الأشياء إلى حسن الحظ أو سوء الحظ.

ليسمح لي القارئ الكريم أن أبين بوضوح في بداية هذا الفصل أن كل شيء خاضع لقانون فقد يكون من سوء حظك أن تولد وليس في فمك ملعقة من فضة، فيكون لديك معونة مالية تحقق بها ما تشتهي، أو يكون في حوزتك الثروة التي لا غنى عنها في تنفيذ أو إنجاز أشياء معينة تحتفظ بها في ذاكرتك.. ولكن، حتى هذا مطابق لقانون.

فمن المشاهد أن خمسة في المائة على وجه التقريب ممن يلجون الحياة العملية بالاشتغال في الأعمال الحرة لحساب أنفسهم، ناجحون في أعمالهم، موفقون في شئون حياتهم. وليس معنى هذا أن الخمسة والتسعين في المائة الباقين تعساء أو أشقياء أو سيئو الحظ. وإنما معناه أن الغالبية الساحقة لم يفهموا بعد القوانين التي وضعت لتكون أساساً للنجاح. فصادفتهم في الطريق عقبات كأداء لم يستطيعوا اجتيازها أو التغلب عليها، أو أنهم أخفقوا في دفع الثمن المناسب من الكد والكدح، أو أنهم اضطروا أو أجبروا على اختيار نوع العمل الذي زاولوه.

وأنت لكي تفهم القوانين التي يقوم عليها نجاح الأعمال، يجب أن يكون لديك إدراك بسيط لقواك الذاتية، وكيفية توجيهها.

يقال إن رجلاً ممن يرأسون أحد المشروعات العظيمة الناجحة،

وكان يعتبر من أغنى أغنياء العالم، أخفق في أول مغامرة قام بها. فطفق يدرس الحالة على حقيقتها ويتفهمها بعناية واهتمام. وعندئذ وجد نفسه شرَّاء بارعاً أكثر منه مديراً كفئاً أو رئيساً ماهراً. فعاد مرة أخرى إلى نفس العمل الذي سبق أن أخفق فيه بعد أن استخدم موظفاً حاذقا للقيام بإدارة العمل، وتفرغ هو لعملية الشراء، فحقق بذلك نجاحاً باهراً.

الآباء الموسرون:

من الخطر في بعض الأحيان أن يولد المرء من أبوين موسرين، أو أن ينشأ كما ينشأ "أولاد الذوات" أنيقاً رقيقاً مدللا، لا يعرف الضنى ولا الكد ولا الجهد. فخلال الحياة الناعمة، المترفة، التي ينشأ الطفل فيها، ربما تتكون فيه عادة البحث عن أساليب أقل مقاومة وأقل احتمالا، فيعتاد السهل اليسير من الأمور، ومن ثم يتحول إلى شخص تافه ضئيل، فيه ميوعة وعدم اكتراث. وعلى النقيض من ذلك نجد أن أكثر المشاهير والعظماء سواء أكانوا رجالاً أم نساءً نشأوا في أسر فقيرة رقيقة الحال؛ فبمجابهة الصعاب، وبمقاومة الشدائد يمكن أن تتكون الأخلاق وتنشأ القوة.

إن الأثرياء الذين لا يجدون في حياتهم من الصعاب أو الإحن إلا القليل، ولا يصادفون من العقبات إلا النزر اليسير، مع ما يبدو عليهم من مظاهر النعمة والجاه، وما يغمرهم من أسباب الترف والنعيم مما لم يدفعوا له ثمناً من الجهد والنصب أو الكد والعرق، لا يلبثون أن يدركهم

العجز والوهن. أما الرجل العصامي الذي كوَّن نفسه بنفسه، فمن حقه علينا أن نقدره حق قدره، ونحترمه كل الاحترام، وننظر إليه نظرة التجلة والإكبار.

هل في الدنيا شيء اسمه الحظ؟

حتى اللعبة التي نطلق عليهم اسم "البخت" كل شيء فيها خاضع لقانون؛ فأنت مثلا إذا تعهدت بسحب "الكومي" من باكو "الكوتشينة" ربما يحدث أن توفق في ذلك في أول مرة. ولكنك إذا كررت المحاولة بعد ذلك مراراً وتكراراً مئات المرات ربما تمنى بالإخفاق وتبوء بالحسرات. وبيوت القمار قادرة على تحديد أرباحها بكل دقة حسب ما لديها من عملاء كثيرين، ولا تعتبر هذه "فرصة" صادفت النادي لأن القائمين عليه يعرفون بالضبط أن دخلاً أو ربحاً معيناً في كل شهر أو في كل سنة يتحقق من قدر معين من اللعب. حتى لقد يأتي أحد الناس في إحدى السهرات ويكاد يستنفد موارد النادي، ولكن حين يأتي وقت التقدير النهائي تكون النتيجة ربحا للنادي وخسارة للاعب.

وهكذا الحال، في كل الأحوال، مع جميع ما في الحياة من شئون وأشياء. وإذا كانت أعمارنا قصيرة الأمد، ولنفرض أنها أسبوع أو شهر مثلاً، فالذي نعبر عنه بالحظ يمكن أن يلعب دوراً. ولكن الحقيقة أننا نعيش مدة طويلة، فيها الكفاية، تسمح لقانون النسبة لكي يحل المسألة بأن يقضي بل يحذف الحظ من حيواتنا. فإذا كانت جهودنا كما ينبغي أن

تكون، وإذا ثابرنا وصبرنا، فإن قانون النسبة لكي يحل المسألة بأن يقصي بل يحذف الحظ من حيواتنا، فإذا كانت جهودنا كما ينبغي أن تكون، وإذا ثابرنا وصبرنا، فإن قانون النسبة هذا سيعمل لمصلحتنا دائماً، وسنكسب باستمرار، وسنصل حتما إلى غايتنا وأهدافنا في الوقت المناسب.

وإننا لنجد رجالاً ونساء يعملون بجد وهمة بدون كلل أو ملل، ومع ذلك لا يبدو عليهم أبداً أية بادرة من بوادر الفوز أو النجاح. وهذا ناشيء عن أنهم – ولو أنهم كانوا بالحق صادقين، أمناء أوفياء – لم يستعملوا عقولهم بالطريقة السوية كما ينبغي، فأخفقوا في الاستجابة أو الإذعان إلى القوانين العقلية الكائنة في النجاح. وربما كان افتقارهم إلى النجاح منشؤه: الافتقار إلى الثقة والإقدام؛ أو خوفهم من المسئولية، أو ربما كان مجرد احتياج إلى تفهم أنفسهم وقوى ذواتهم. ولكن من المؤكد أنهم كانوا بعيدين كل البعد عما تتطلبه منهم هذه الحياة الكبيرة. وأن عائقاً كان يعوقهم عن إدراك بعض الأصول أو الجوهريات التي تحتاجها مستلزمات المعيشة في هذا الوجود، وإلا لكانوا من الناجحين.

حينما كنت فتى يافعاً، عملت بوظيفة كتابية في إحدى المؤسسات الكبيرة المعروفة في القطر بتجارة الحديد. وبعد سنين عدة ساقني حب الاستطلاع إلى زيارة نفس المكتب الذي كنت أعمل فيه. فوجدت عدداً من نفس الموظفين يكدحون ويسيرون الهوينى في نفس العمل الذي كانوا فيه منذ أن كنت معهم. إنهم عبيدو العادة، منساقون على غير هدى،

مدفوعون إلى غير غاية، خائفون من الإسراع في السير، ومن محاولة بعض أشياء تخالف أو تغاير خط سيرهم في العمل. والتقيت برجل في نحو الستين من سني حياته كان يعمل محاسباً طول حياته. وكان مثال الأمانة والاستقامة، مكث في نفس المؤسسة التي يعمل بها أكثر من ثلاثين سنة. ولكنه كان في أشد الحاجة إلى الإقدام والثقة بالنفس، لقد عرض على هذا الرجل خلال هذه المدة الطويلة وفي مناسبات عديدة، وظائف أخرى، منها وظيفة مدير لبعض فروع الشركة. ولكن خوفه من المسئولية كان السبب دائماً في رفضه الترقية. لقد كان خائفاً من نفسه، عديم الثقة بها؛ فخاف من انتهاز فرصة كانت ستقوده حتما إلى النجاح.

ادرس مقدراتك:

ثم إننا نجد أناساً يزاولون أعمالاً لا تناسبهم البتة، ولا تليق لهم، ولا توافق مزاجهم. وهذا يتعارض بطبيعة الحال مع أي نجاح، ويحول دون بلوغ أي تقدم. مثل هؤلاء الأشخاص كان عليهم أن يعملوا لأنفسهم قائمة جرد، ويرسموا لأنفسهم خطة يسيرون عليها. وكان عليهم أن يدرسوا قدراتهم وكفاياتهم ومؤهلاتهم قبل شروعهم في امتهان العمل الذي يمارسونه..

وعلى المرء أن يدبر أموره، ويقرر مصيره، ملاحظاً ماذا عسى أن تكون الحرفة أو المهنة التي ينبغي له أن يباشرها، وذلك بالشروع بالبدء أولاً في التفكير فيما يفضله عن غيره، وفيما يحبه أكثر من سواه. ومن ثم

يعمل الفكر ليرى إذا كانت له الصفات اللازمة التي تؤهله لهذا العمل، وإذا كان يصلح لهذا العمل أو لغيره.

وكثيراً ما يكون الوالدان مسئولين عن البداية الأولى التي قد تكون في أغلب الأحيان بداية مخطئة؛ فالأب يريد أن يكون ابنه طبيباً أو محامياً أو غير ذلك؛ فيشرع في تأهيله كي يجعل منه طبيباً أو محامياً بصرف النظر عما إذا كان لدى الابن ميل طبيعي للدخول في مثل هذه المهن.

إنني أعتقد اعتقاداً جازماً أن خمسين في المائة من الأطباء الذين تخرجوا في كليات الطب لم يفتحوا عيادات ولم يزالوا المهنة. وأن نصف هؤلاء زاولوا أعمالاً أخرى بعد أن أمضوا سنة في التمرين. فيا لها من كمية كبيرة لا يستهان بها تلك الطاقة المبددة، وذاك الوقت الضائع هباءً.

إن الأب إذا رغب في مساعدة ابنه ومعاونته على توجيهه الوجهة الصحيحة في السبيل السوي إلى مستقبل حياته، عليه أن يقوم بدارسة ابنه دراسة دقيقة. فيجعل هذه الدراسة هي التي تقرر مصيره، وتبت فيما عساه يكون أصلح له وأجدى، بدلاً من أن يتبع هوى نفسه فيضل سواء السبيل.

هل يعبر عن الإخفاق أو الفشل الناشئ عن سوء التصرف في هذه الأحوال "بسوء الحظ"؟ كلا ..

ادرس نفسك دراسة عميقة:

إنك إذا استرجعت وتأملت فيما مضى من أيام عمرك، ستجد أنك اجتزت عدة مناسبات، ومررت بعدد من الفرص لم يكن لها أي اتصال وثيق بذاتك اللاشعورية، وحصلت في الغالب على ما نطلق عليه "الشعور" أو الإحساس عند سنوح هذه الفرص فتقتنع بها وتقبلها. أما ما نسميه "التأثر النظري" مما اعتاده بعض جامعي المال وطالبي الثراء، فمعناه بكل بساطة أن هؤلاء الناس على صلة وثيقة بما اتسق في أعماق ذواتهم سواء أكان ذلك شعورياً أم لا شعورياً. وباستخدام هذه القوي مراراً يغدو هذا الطور من عقولهم أكثر كمالاً وأعلى مستوى.

ولا يخفى أن هناك دائماً عنصر "المصادفة" الذي يرتبط بالحياة ارتباطاً وثيقاً، ولكنه ليس الحظ. ونحن إذا اقترفنا بعض الأخطاء أو تردينا في مواطن الزلل، كما يحدث أحياناً، فمعنى هذا بكل بساطة أننا إما أن نكون عديمي الدراية بالقوانين الجوهرية التي تحكم هذه الأشياء وتنظمها، وعلى جهل تام بمبادئها؛ وإما أن نكون قد ارتكبناها عامدين متعمدين رغبة منا في تأدية عقاب يفرض علينا، أو نيل جزاء نستحقه.

إننا كثيراً ما نسمع أن "فلانا صادفه حسن الحظ" ولكني أرى أن هنا دائماً ثمة شيء خلف هذه الحركات التي تبدو في الظاهر أنها موفقة سعيدة.

فإذا آل المرء على نفسه أن ينجح، وأن يجعل الجهد وراء رغباته،

وكانت له روح طيبة، ونفس عالية، فإنه سينجح مثل هذا الشخص بدلاً من أن يسمح للإخفاق أن يثبط من همته، أو يوهن من عزيمته، يجعل منه درساً يستفيد منه، ويواصل السير حثيثاً بخطى ثابتة، باستمرار وبغير انقطاع.

لقد ذاق أغلب الأثرياء والموسرين في بعض فترات من حياتهم مرارة الإخفاق، ولكنهم كانوا في كل مرة من مرات الإخفاق يستفيدون الكثير من الخبرة والتجربة، إلى أن جاء اليوم الذي عثروا فيه على الشيء الصائب، وانكشف لهم ما ليس في حسبانهم، فأتموا شيئاً يستوجب الاهتمام ويستحق الكدح. وقانون النسبية سينتج وسيؤتي ثماره وسيعمل على مساعدتنا، وسيعيننا على الحياة إذا نحن داومنا على السير في العمل بجد واستمرار.

وأنت إن كنت مخفقاً في أمر من الأمور فلا تلق تبعة إخفاقك على "الحظ السيء"، وإنما التبعة تقع ثمة على خطأ ترديت فيه. وتأكد أن إخفاقك قد يكون سببه هو حاجتك إلى فهم أو خبرة أو إدراك أو فطنة، وقد يعزى إلى توافق ذهني مخطئ.

والجهد الموجه توجيهاً حسناً إيجابياً إلى الطريق السوي ما له بكل تأكيد إلى النجاح والتوفيق؛ فأنت سيكون لديك بطبيعة الحال محصول من القمح لا من الشعير إذا كنت قد زرعت قمحاً، وليس للحظ دخل في هذا.

كم من أناس يأملون وينتظرون بفارغ الصبر أن يتغير حظهم في يوم من الأيام. وهيهات أن يغير الأمل والانتظار من الحظ شيئاً. إنما التغيير أو التبديل يجب أن يحدث فيك أنت؛ فلا تجلس في انتظار "الخير" يأتي ساعياً إليك. بل يجب عليك أن تسعى إليه أنت.

علينا جميعاً أن ننتهز الفرص في حياتنا، وخير لنا أن ننتهز فرصة وإن فلتت منا، من أن نقف ساكنين أو أن نركن إلى الراحة والدعة. ولا يوهنن من همتك أو يثبطن من عزمك أن تسقط أو تزل أو تخفق. بل انهض من كبوتك وسر قدماً وصابر وثابر واستفد من التجربة.

إن عظماء الرجال لم ينتظروا الفرص لتقف أمامهم وتعرض نفسها عليهم، إنما هم الذين قبضوا عليها وتشبثوا بها وهي مسرعة أمامهم، وسخروها لقضاء حاجاتهم.

يبدو على معظمنا في كثير من الأحيان أنه ليس أكثر جرأة ولا أكثر عزماً من طفل يتعلم المشي؛ فيكبو من وقت إلى آخر أثناء محاولته تعلم فن التوازن، ولكنه ينهض من كبوته ويعيد الكرة مرة بعد مرة إلى أن ينجح.

إذن لا تذر أحداً يتبرم أو يبدي تذمرا من أن الأقدار تخونه أو أنها تعمل في بعض الأحيان ضده، ولكن.. يخلق به حين يكبو أو يتعثر ألا يتطير ولا يتشاءم، فالرجل التشاؤم لا نفع له ولا جدوى منه، فهو على التحقيق مخفق في حياته، وإن حيوانا أليفاً لأجدى في الحياة من هؤلاء

المتشائمين.

شمر عن ساعديك وخذ لكل شيئ عدته، فقد يكون هناك شيئ مجهول من أسرار الكون في انتظارك. وقد يكون ثمة دافع يرفعك ويسمو بك بالتدريج فوق سوء الحظ، وقلة البخت وتغدو كل يوم أكثر استهانة وأقل تأثراً بهجمات النحس وغدرات الزمان. وتتعلم كيف تقتحم طريقك وتسلك سبيلك بالرغم مما يصادفك من عقبات، إلى أن تصبح أخيراً قادراً على تكييف "حظك" وصياغته كما تريد.

قال أحد المفكرين: "إنما الحياة قصيرة جداً، أقصر مما نتصور.. أقصر من أن نبدد لحظاتها في التحسر والبكاء على سوء الحظ وقلة البخت، بل يجب علينا أن نلاحق النجاح ونتابعه ونسعى إليه لأنه لن يأتي إلينا، ونحن ليس لدينا وقت نبدده".

واجه مخاوفك

لا أريد أن أكون موضع خوف بل موضع اهتمام

"**سعد زغلول**"

إذا ألغيت الخوف من عقلك وقلبك، كسبت الثقة التي لا بد منها لحياة منتصرة، وعاونت على خلق الثقة لدى الآخرين. وبفضل الإيمان والشكر تستطيع أن تجعل الخوف في أجازة دائمة.

"**جورج ماتيو آدامز**"

لا تخش انفعالاتك أو عواطفك. لا ترهبها، حتى ولو كانت متعبة مكدودة. بل ادرسها، وابحثها، وفكر فيها.. سيطر عليها، واحكمها، وتحكم فيها، ثم حولها لمنفعتك ولنفع الآخرين.

سمعت عن رجل كان يخاف البرق ويخشى رؤيته؛ فطفق يدرس الكثير عن البرق. وشيئاً فشيئاً عرف كيف يصوره من زواياه المختلفة. فتعلم كيف يفرق بين الومضات المتكررة الأخاذة، عمودية كانت أم أفقية. وبذلك تلاشت مخاوفه من شر أنواع العواصف البرقية، وأصبح الشيئ الذي كان يخشاه ويرهبه، هوايته المفضلة. ولشد ما كان يسره ويثلج صدره أن يخرج إلى شرفة منزله في أثناء عواصف الرعد الرهيبة

ويصور وميضها وبريقها، حتى لقد ظنه أحد أصدقائه أنه أصيب بلوثة في عقله. ولكن كان العكس هو الصحيح. لأنه بعد ذلك أخذ يكتب ويبيع لمجلات مختلفة موضوعات شائقة عن البرق والرعد، لقد حوَّل خوفه إلى هواية فيها كثير من النفع وفيها ربح وفير.

وكنت أعرف شاباً كان أخوف ما يخافه هو أن يفقد وظيفته، مع أنه كان على درجة من الثقافة لا بأس بها. ولكنه راح يدرس الإجراءات والشئون التي تتعدى حدود اختصاصه. واشترك في تدريب بالمراسلة خاصة بالمحاسبة وطرق التجارة. ولقد أصبح بعد ذلك رجلاً حراً يستمتع بعمله كأحسن ما يكون الاستمتاع. لا يوهمه خوفه، ولا يخيفه وهم لقد تعلم فيما تعلمه أنه في حالة ما إذا فقد عمله أو وظيفته – وهو الرجل الحاذق – فإنه حتما سيجد وظيفة أخرى أحسن وأفضل في انتظاره، وبأسرع مما ينتظر.

وبنفس هذه الطريقة يمكن التغلب على جميع الذهانات[٦] الانفعالية والسيطرة عليها. إنك لن تحتاج إلى أكثر من أن تدرس الأشياء التي تخاف منها وترهبها. جزئها وخذ كل جزء منها على حدة. ابحثها، وافحصها، ودقق الفحص فيها.. صور البرق وومضاته اللامعة المتألقة. عندئذ ستتحول أحزانك ومتاعبك ومخاوفك إلى ما يفيدك ويعود عليك بالنفع الجزيل.

---

(٦) الأمراض العقلية

وفي إمكان كثير من العصابيين[٧] أن يعتبوا أو يسكبوا من جديد خلقهم وطباعهم. وفي مقدورهم أن يعيشوا عيشة هنية رضية إذا عرفوا كيف يكشفون عن الحقائق التي توضح لهم تركيب المخ والأعصاب، ووظائفها، والمبادئ الأولية للعقل، وبكلمة أخرى علم النفس.

إن تحليل الخلق، وتحليل النفس، إنما يرتكز عليها نور العلم الوهاج. أطباء الأمراض العقلية يؤكدون أن التقلب العاطفي، والطيش، والتردد، كثيراً ما يكون ملفتا للأنظار. وبوسع المرء أن يوفقها مع طول موجة ذهنية أخرى، كي يمضي بعيداً تجاه النجاح. وستكون الحالة في تغير مستمر دائم.

وبعض الناس سرعان ما يتأملون ويتوجعون، وتتفجر دموعهم حزناً وكمداً، ويطفقون يبكون ويعولون لأخف لوم، ومن أقل تأنيب. ثم يظهرون من جديد الاحتقار عنيفة، وهبات قاسية من السخط والحنق والغضب. وهكذا ينقلب السرور إلى حزن، والبهجة إلى هم وكرب، والفترات الطويلة من السعادة تتبعها غمرة من غمرات المكاره، وحالة من حالات اليأس، وانقباض النفس.

هذا الضرب من الطبع المتقلب، الدائم التغير، يتكشف دائماً في نواحي نشاطهم. إنهم إما أن يكونوا سعداء دائبي الحركة، وإما أن يكونوا غير قانعين، بطرين، مع خمول وعدم حركة. إنهم عطوفون ودودون في

---

(٧) المرضى باختلال الأعصاب

بعض الأحيان؛ نفورون، ثقيلو الدم أحياناً أخرى. إنهم على حالات وأمزجة تدعو إلى عدم الاعتماد عليهم، أو الوثوق بهم، أو الركون إليهم. بسماتهم يعقبها عبوس، ويتبعها تجهم وقطوب. ويقف أصدقاؤهم ومعارفهم حائرين حيالهم لا يستطيعون لهذا التقلب تفسيراً. وإنهم ليحتاطون دائما ويحترسون لتفادي العواقب وتجنب التبعات.

وهكذا يتحول الكثير من أمثال هؤلاء الناس إلى "خلان يتلونون مع الزمان". إنهم لا يكادون يحبون بدون معيار، حتى يكرهوا بأسرع ما يمكن بدون سبب أو مبرر. وبوسعي هنا أن أقرر – من باب العلم بالشيء – حقيقة ثابتة، هي أن الميل إلى الكآبة والانقباض لدى الذكور أقوى بكثير مما عند الإناث..

والناس جميعا يتفاوت تأثرهم بإيحاءات أناس آخرين. كما يتفاوت انقيادهم إليهم عن طريق تلك الإيحاءات. وكثيراً ما يتعرض كل فرد (لنعرة) عصبية أو حالة هستيرية تشبه إلى حد ما (عفريت العلبة). ويتوقف انطلاق هذا العفريت وعدم انطلاقه على قوة الزمبرك والقوة الموضوعة على الغطاء.

فمن الخير أن نذكر جيداً أن شيئاً تافهاً قد يحطم كيان الإنسان ويضعضع بنيانه؛ ولذلك ينبغي علينا أن نتحاشى إثارة أصدقائنا ورفاقنا، ونتجنب استفزازهم، أو تجريحهم، أو خدش شعورهم ما دام ذلك في وسعنا.

إن عناء العمل اليومي، والمجهود المضني الذي نقوم به كل نهار، مع ما يصحبه من مناقشات صغيرة ومحادثات أو معاملات مع أناس سخفاء غير معقولين، يقودنا إلى السعادة، ويهبنا الرفاهية، ويمدنا جميعاً بالخير وحب الخير.

ولقد ذهب بعض المحللين النفسيين إلى أبعد من هذا، فقالوا إن الطبع السيء أمر محمود فيه خير ونفع كبيران. وذلك لأنه يؤهل الفرد ويبعث فيه القدرة لكي "يفتح الصمام" ويطلق منه "البخار" والضغط؛ وعندئذ يستطيع الفرد أن يقفل أو "يسد" الصمام في أي وقت فيغدو سويا مرة أخرى بضع أسابيع. أما هؤلاء الذين لا يستطيعون أن يطلقوا "البخار" في شكل طبع فإنهم يستيقظون في أغلب الأحيان ليجدوا أنفسهم في حراسة عقلية بإحدى المستشفيات.

وإنه لأمر عادي جداً، بل وطبيعي أن يثور الإنسان ويتميز غيظاً وحنقاً. ولكن لا بد أن يكون هناك لهذه الحالة من ترياق.. هذا محقق أكيد، تحققنا من وجود عقار أو مادة كيماوية هاجعة في هذه اللحظة على أرفف الأطباء والصيادلة مما يمكن أن تشفي السرطان والسل الدرني، إذا نحن استطعنا أن نقع عليها ونعرفها. وحين تصادف شخصاً مغيظاً، فقد اتزانه، عليك أنت أن تظل رزيناً، ثابتاً، عديم الاكتراث. وأن تضع أعصابك في ثلاجة، إن اضطرك الأمر لذلك.

وإن رجلاً سيء الطبع لا بد أن يقدر الرجل الذي يمكنه أن يظل هادئاً رضيا. إنه نفس قانون الطبيعة الأزلي القديم: العناصر المتشابهة

تتنافر، والعناصر غير المتشابهة تتجاذب.

إننا جميعاً عصبيون، ولكن بدرجات متفاوتة. ولقد تمرسنا واعتدنا الضعف والوهن العصبي الناشئ عن المجهود والإجهاد العقلي المتصل، والعمل الشاق المتواصل. وربما ينتاب بعضنا حالات هستيرية حقيقية، ويهب كالعاصفة دون أي سبب مثير ظاهر. ومقدار الإجهاد وطبيعته التي من شأنها يتسبب الحوار والتهافت تختلف وتتباين باختلاف الأفراد. فبينما نجد شخصاً يستطيع رفع ثقل فوق المتوسط، نرى آخرين يعجزون عن رفع ثقل أقل منه بكثير..

والعمل الذهني إذا امتد إلى حد الإفراط، أو تجاوز القدر المعقول، على شرط ألا يكون مصحوباً بالقلق، ليس سبباً أو علة متكررة، بصرف النظر عن المعتقدات المألوفة لدى عامة الشعب. ولكن إذا ما وجد القلق، فلا بد من وجود ضعف بالأعصاب وتكرار وقوع حالات من النورستانيا. وغالبا ما تكون الأعراض الأولية لهذه الحالة هي العجز التام، وعدم القدرة على التفكير تفكيراً مترابطاً، متتابعاً، متصلاً دون انقطاع.

وهناك كثير من الناس ممن عرفوا برجاجة العقل، ونفاذ البصيرة، وأصالة الرأي، تغلب عليهم حالات نورستانية، ولكنها ليست دائماً بسبب أعمالهم. وكم من أعمال مجيدة خالدة قامت على أيدي أناس ضعاف الصحة، ضعاف الأعصاب.

إن كل فرد في الدنيا كان في الأصل عصبياً، يعجز عن مقاومة

كميات القهر والإجهاد بدون تعطل. إذا كانت كفتا الميزان متعادلتين تماماً، فإن وضع ثقل واحد في إحدى الكفتين يرجح ذلك الجانب.

وقد تأتي "الزوبعة المخية" من أثر تعب شديد، وإجهاد مفرط، ومن التهيجية (سرعة الانفعال والتهيج). وفي إمكاننا أن نتعين وندرك إذا كان غيرنا من الماس في حالة طيبة ومزاج معتدل، أو في حالة حزن واكتئاب: أو إذا كانوا مصابين بالسوداء. وعندئذ يتحتم علينا أن نبذل كل ما في وسعنا، ونعمل جهد طاقتنا لنتحاشى الكلمات الجافة، والألفاظ القاسية، أو الجارحة، التي قد تكون سبباً لإثارة المشاعر، وإيغار الصدور، واستثارة الضغائن والأحقاد، وتكون بالتالي سبباً لأضرار فادحة.

كيف نحس بهذه الزوبعة المخية التي تهددنا في أي وقت، والتي قد تكون محدقة بنا، مشرفة علينا؟... إذا تركنا "الحركة" هي التي تحكي لنا القصة، عرفنا أن الأفراد إذا عمل بطريقة سوية، ونظر بطريقة سوية، وكانت حركاته موزونة، متزنة، فهو لا شك معافى، في تمام العافية. ولا بد أنه يشعر بسلامته وكماله، بصرف النظر عما يقوله غيره عنه. أما إذا كانت حركاته مهتزة، مترنحة غير رتيبة، تلازم ساقه أو ذراعه أو رقبته حركاته تشنجية أو تقلصية، هذا الشخص لا يمكن أن يسمح له تركيب عقله بالدخول في مناقشات أو مجادلات تحتاج إلى التدليل، وإقامة البراهين عليها.

وإنها لحقيقة ثابتة معروفة، أن الشيئ قد يكون بالغ التفاهة ولكنه يهدم كيان الفرد، ويشوش عليه عقله وتفكيره، ويضعضع بنيانه، ويكون

سبباً في عدم توافق مجموعات العضلة، وفي الأثير على الجهاز العصبي.

إننا أتينا إلى العالم وفي كل منا قدرات متفاوتة غير متشابهة لمقاومة الإجهاد، سواء أكان انفعالياً أم ذهنياً أم فيزيقياً أم روحانياً أم كيميائياً.. هذا الإجهاد الذي هو في الواقع مجموع القوى التي تؤثر على التركيب العضوي في الفرد، وعلى خلاياه الأصلية الجوهرية؛ فهو لذلك يتضمن العلة، والعمل الآلي، والمجهود الفكري.

وما نحن إلا في مدارج العلم ببعض أشياء عن سبب التفاوت والتباين في المقدرة على مقاومة هذه الحياة شديدة البأس، قوية البطش، وعلى الصمود أمامها. ومن المحتمل أن تكون الوظيفة الشاذة لإحدى الغدد الصماء أو لجملة منها هي الأصل أو الأساس لكثير من الوساوس وضعف الأعصاب، أكثر من أي علة نشأت في الأصل من النظام العصبي نفسه. ولكن هذه نظرية أكثر منها مذهب علمي أو حقيقة واقعة محققة. وبينما نجد كثيرا من الناس يتحملون الصعاب، ويجابهون الشاق، بقوة وبصيرة وشكيمة. ويقاومون مقاومة فعالة ناجحة أثقال الحياة العادية المألوفة، نجد آخرين يستسلمون لليأس، ويستكينون للقنوط، ويرزحون تحت أعباء وأوقار يتحملها غيرهم بثبات ورباطة جأش، ورحابة صدر، وعزم شديد – مهما كانت الأسباب أو الدفع – ويبدو بالرغم من هذا، أنه من الخير لنا، بل من المحتم علينا، أن نسمو بعقولنا، ونرتفع بمشاعرنا، حين نحاول أن نوفق بين مشاكلنا في الحياة، وبين أسلوبنا في المعيشة بالنسبة إلى الحياة العاطفية لمن نعاشرهم أو نعيش معهم أو

نرتبط بهم في المعاملات.

والأمراض العقلية العاطفية التي يطلق عليها علماء النفس "الذهان العاطفي" كالخوف والبغض والكراهية والحب والثأر والتظاهر الكاذب، مدعاة للحيرة والارتباك والوهم. وذهان الخوف تملأ أذهانهم، وتسيطر على رؤوسهم: الخوف من الإخفاق، وضياع المستقبل؛ والخوف من الزحام، والخوف من الجراثيم. كل هذه المخاوف بجميع صنوفها وضروبها، يتحتم علينا أن ننتزعها انتزاعاً من نفوسنا. ونتخلص بل ونتحرر منها جميعاً، لا سيما ونحن في زمن التثقيف والاستنارة، وعهد العلم والعرفان.

كما يتحتم علينا أن نعمل على ألا يكون للبغضاء والكراهية مكان أو أثر في حياة أي فرد وأن نحيا حياة عالية المستوى، خالصة من شوائب الهموم والكروب والأحزان، وأن نعمل على الحد من وطأة الثأر والانتقام – أيا كان نوعه أو كيفيته – من النفوس الملتهبة بالغضب واللهب، والصدور المضطرمة بالحقد والموجدة. وأن نمحو ما قد يكون عالقاً بالقلوب من سواد وقتامة. وأن نكون عطوفين على الناس، متسامحين معهم، رحماء بهم، نحب لهم الخير كما نحبه لأنفسنا.

أما التظاهر المموه، والتفاخر الكاذب، والمباهاة الخداعة، فهي ذهان له وزنه وله قيمته. وإنه لجدير بالدراسة والبحث، فكل فرد يود لو يضفي على نفسه شيئاً من الملاحة، وحسن السمة. وإنه ليحب أن يتظاهر بالوجاهة، والأصالة والجاه العريض، وجمال المنظر والمظهر.

وليس من شك في أن هذه طبيعة متأصلة في كل فرد. إذ أننا جميعاً نجاهد ونكافح في سبيل التفوق والتبريز على سوانا، ولكي نعلو فوق مستوانا، وأكثر الناس لا يسعدون ولا يهنأ لهم عيش إلا إذا فاقوا أقرانهم وبرزوا عليهم. ولعل هذه المنافسة هي السبب المباشر الذي يعاون على النجاح الحقيقي الذي لا يمكن الوصول إليه إلا بشق الأنفس، ولا يناله إلا كل مثابر صابر مجد عنيد.

كن مرحاً .. تكن سعيداً

إن العبوسة والكآبة واضطراب دلائل على الصغر؛ فجميع النفوس الكبيرة يكتنفها جو السكينة والطمأنينة.

"أناتول فرانس"

النور الذي يلمع في عينيك تأتي به النار التي تضطرم في صدرك.

"بيرون"

السعادة في هذه الحياة محصورة في فهم معنى الحياة.

"تولستوي"

ذات أمسية من أمسيات الربيع، كنا ستة نفر جلوساً في غرفة الانتظار نترقب حضور باقي الزمرة واكتمال عقد الجماعة. كان منا من يدخن، ومن من يستمع إلى المذياع، ومنا من يتجاذب أطراف الكلام مع خدين له. وكان الحديث يدور فيما بيننا فاتراً سقيماً متراخياً. وإذا بي أشعر على حين بغتة بالجو وقد تكهرب. فتلفت حولي لأرى غادة هيفاء، رشيقة القوام، حسنة الهندام، تلج الغرفة يتبعها باقي أفراد الجماعة.

كانت تتحرك في رشاقة، وتتمايل في خفة، وحين بدأت تتكلم تبين

لي أن في صوتها الخفيض رنة سرور، وأن له نغمة موسيقية. حيت كل من تعرفه فرداً فرداً، وأبدت اغتباطها وحبورها بالتعرف على الآخرين. إن عينيها اللامعتين تلتقيان بعينيك ترى فيما إشراقة ساطعة كما لو كانت تحشد كل ما في الدنيا من سرور وطرب. وتتجسد فيهما كل معاني الفرح والابتهاج. ولا تملك إزاءها إلا أن ترخي بصرك في استحياء.

كانت بسماتها الطروب المتألقة بما فيها من وميض طابعاً خاصا لها، وكانت ضحكاتها الفرحة بما فيها من ازدهاء تأخذ بمجامع القلوب والأفئدة.. وتمايل رأسها كان يوحي بأن كل شيء حولها فيه طرب وحبور وموسيقى. أما حركات يديها وكتفيها ففيها اتزان فطري، وإيقاع غريزي. كانت تعرب – بكل السبل وبجميع الوسائل – عن سرور جم، وتعبر عن غبطة وانشراح، وتعلن بحماس حيوي واستجابة متلهفة، وتوافق متحمس، إلى كل ما يبعث على الارتياح والاستبشار، ويجلب الحب والود والوئام، ويشجع على الحياة وحب الحياة.

لقد تأكدت تماماً من الطبيعة الجميلة، والفطرة السليمة، في كل شيء قالته أو فعلته. سرني منها أنها تدير الحديث بلباقة، وتنتقل بين الجمع برشاقة. كان حديثها ترحيباً بمن حولها، منبهاً ومؤنساً لهم، محبباً إليهم، فيه عذوبة، وفيه رقة وسحر. كانت فعالها مع ما فيها من سرعة خالية من أي تكلف أو تصنع. وكانت مظاهر السعادة تتألق منها. كانت تبدو وكأنها مخلوق من عالم آخر. لقد فتنتنا جميعاً، خلبت ألبابنا، وسبت عقولنا. لم أتمالك نفسي من متابعتها بنظري، غير قادر على

تحويله عنها. وطفقت لا أرى ولا أسمع ولا أشعر بشيء غير إثارتها المدهشة، وتأثيرها السحري، وأثرها العميق في النفس، وبت ليلتي مستهداً، مفكراً، متأملاً.

ليس من عجب في أن معظمنا يعيش على هامش الحياة، عيشة رتيبة متماثلة.. (والذي يبات فيه، يصبح فيه)؛ أو يبدد وقته في هوايات سطحية لا تنفع. إننا اعتدنا أن نمشي ونتحرك آلياً. طوال كل يوم يأتي علينا، دون أن نفكر في شيء يجعل منا أناساً ذوي شخصية، وذوي أهمية. أناساً ترمقنا الأعين بالإعجاب والإكبار.

إن ثوراتنا الفكرية الطبيعية وخواطرنا، قتلها الاحتشام والأدب والتقاليد وغدونا نسلم جدلاً على سبيل الفرض بأشياء كثيرة جداً، كضوء الشمس مثلاً، وأوراق النبات الزمردية، وصحتنا، وابتساماتنا، وأصدقائنا، وأصبحت جميع أفكارنا وأفعالنا تتبع نماذج شعبية مصنوعة محلياً. وصار كل شيء يتحول بل يهبط إلى مجرد صورة. إننا على حال من السفسطائية لا يمكن تصورها. حال غير طبيعية وغير واقعية. ونسينا كيف نكون مسرورين منبسطين، وكيف نثير الدهشة والإعجاب. ولم يبق في قلوبنا أية بهجة أو غبطة أو انجذاب.

ألم تواتك الظروف بالجلوس في قطار محدقاً في الفضاء الواسع وأنت خالي الذهن، ليس بعقلك أي شيء. فتروعك شخصية مرحة نشطة ذات حيوية دفاقة، غصة الإهاب، تمر أمامك في الممشى؟ .. إن أي شخص آخر يكون مجرد عابر سبيل كأي مسافر عادي، بعكس هذا

الشخص الذي ينبعث منه الحماس، وتبين عليه بوادر الحمية، التي يمكن التعبير عنها بصدق وسهولة، بأنها حب الحياة.

ألم تلحظ في أحد الشوارع المزدحمة شخصاً ما يسير كما لو كان أميراً، يبدو من سمته كأنه يود أن يصافح بكل إخلاص أيدي كل الدنيا، ويلوح من مظهره كأنما خلق لكي يعيش مرحاً نشيطاً، سريع التأثر، كأنه على وشك أن يرفع عقيرته بالغناء؟.. وبينما تكون متنبها إليه، مشغولاً بالنظر إليه وقت مروره، لا يكون لأي شخص آخر سواه أية قيمة أو أهمية؟.. ألم تر شخصاً يقوم بعمل صغير تافه كختم طوابع البريد على الخطابات مثلا، أو شراء زوج من الجوارب، يحوطه جو مفعم بالنصر الذاتي الذي لا يحده وصف. وفي حالة يكتنفها الظفر الذي لا حد له؟..

ألم تشاهد أطفالا صغاراً يزاولون بازدهاء ومرح إحدى اللعب البسيطة؟...

أولئك هم الأشخاص الذين لا تزال شمسهم تسطع بأشعتها الذهبية كل يوم.

أولئك هم الذين يغزون بابتسامة، وينتصرون بكلمة، ويعيشون بحرية وانطلاق، ويحيون حياة كاملة، غنية، سعيدة.

إن كل ما تحتاج إليه هو أن تنغمس في السعادة، وتغمر نفسك بها بقدر ما تستطيع، عبر عن الإيقاعات التي تكمن فيك. وتأثر ثوراتك الفكرية، وتتبع خواطرك الفجائية. تعقب دوافعك وبواعثك. غن حين

تشاء أن تغني. ولا تنتظر أحد يشاركك في الغناء. وأرقص حيثما تشاء، ولن يضيرك من الرقص شيء، ولن يؤاخذك إنسان. افتح ذراعيك على آخرهما. وابسطهما ومل برأسك إلى الوراء، واضحك. اضحك ملء شدقيك!.. عندئذ ستشعر بالسرور والبهجة. وستحس بغبطة روحية، وبفرح علوي سام يغمرك ويملأ جوانبك، ويفيض في كيانك. ماذا يهمك أو يقلقك إذا لم ير الآخرون سببا ظاهراً أو علة واضحة لذلك؟

عبر عن نفسك، وعن حبك، وعن سعادتك. وثابر على هذا التعبير واستمسك به. لا تذر السعادة أو الحب يخرج من حياتك لحظة واحدة..

ابحث عن الأشياء التي تستدر الضحك. كن خفيف الروح، ذا نفس مرحة طروب لا يخنقها هم أو قلق. فالفكاهة والبشاشة تدفع المرء إلى الشعور الطيب. والشعور الطيب الخير خطوة مبدئية نحو الهدف!.. اوجد لنفسك كل يوم شيئاً جديداً يبعث على السرور. واجعل الدنيا تعرف عنك أنك مغتبط جزل. إذا لقيت في طريقك مرة شخصاً ممن تعرفهم وكان مكتئباً حزيناً، رحب به وكأنك لم تره طول حياتك مبتهجاً فرحاً مثل هذه الساعة. قل له إن السعادة تبين واضحة على محياه بشكل عجيب، وكأنها تذيع على الناس أهم الأنباء وأعظمها. ومن ثم راقبه وهو يفتح عينيه وينصب قامته أكثر من قبل.

افعل من الأشياء ما تحب أن تفعله، واغتنم اللذات المباحة، واقتن منها ما يفيدك وينفعك.. دع نفسك بكليتها تهلك في سبيل إيجاد فكرة

وتحقيقها.. اخلق! وانجز!.. واسع في الدنيا لكي تسعى الدنيا معك!!.

قف منتصب القامة، فارع العود، وانظر دائماً إلى الأمام. وتنفس بعمق، وخذ الأشياء على أنها سهلة بسيطة. ولا تكن مندفعاً متهوراً، ولا متردداً فلا موضع في الحياة للمترددين..

اشتغل بتؤدة، وتأن في عملك، ولكي تكون طبيعياً، فلديك من الوقت قدر ما عند أي شخص آخر. تمتع بكل ساعة تعيشها. عش في حاضرك.

اكتشف كنزاً من الذهب في كل ذرة من ضوء الشمس.. هذه هي الحياة بكل ما فيها من خير وفير.. قدر لكل شيء قيمته.. احصل على كل شيء ترى أنه سيعينك ويعاونك ويصلح من شأنها، واستحوذ عليه لنفسك. اجعله ملكا لك. بهذه الوسيلة فحسب يمكنك أن تبني نفسك وتنشئها من جديد، وتنميها، ومن ثم تعيش غنياً موفور الغنى، منعماً، واسع النعمة. ضع نصب عينيك أن ليس ثمة في الوجود إنسانا يمكنه أن يسلبك حقك في الحياة. أو يختلس منك نصيبك من الأرض أو من النجوم، أو من شعاع الشمس، أو من الهواء. كل ذلك ملكك ولك حق استعماله والانتفاع به جميعاً كيفما تشاء. فامش في مناكبها، واستشعر ما فيها من جمال وفتنة. وترعرع في ربوعها حتى تكتمل قواك، وتكمل شخصيتك.

اشعر بالصحة والعافية، والمس في نفسك الطاقة الثابتة – التي لا

تزول ولا تفرغ – وهي تسري خلال كل خلية من خلايا بدنك!.. عبر عنها بحيوية متوقدة تواقة، وبحماس قوي متدفق. لا تخرج عن حدود روضة أزهارك، وحاول أن تملأها بألحان السعادة. ارفع رأسك عاليا حتى تقترب من السحاب. اجمع ذهب أشعة الشمس. امسك كل نغمة من لحن وضحكة ومسرة.. فالدنيا وكل ما في الدنيا لك! .. ولكنها ليست لك وحدك. إنك ستعرف أكثر من ذلك كثيراً، وستكون في حاجة إلى تقسيم السعادة التي ستأتيك، وستحتار في توزيعها.

كن مخلصاً لنفسك، واعمل بالنصيحة التي يسديها إليك أندريه جيد: "لا تقلد غيرك من الناس، فتفعل ما يفعلون، وتتحدث كما يتحدثون، وتكتب كما يكتبون، ولكن كن مخلصاً لنفسك، وافعل ما تمليه عليك شخصيتك لتكون جديراً بالإعجاب".

إن الأفكار تعدي، بل إنها أسرع في نقل العدوى من أي شيء آخر. والناس في ميسورهم أن "يمسكوا" بالسعادة بسهولة لا تخطر على بال إنسان: إذا كانت قلوبهم مليئة دائماً بالأمل؛ وإذا كان تفكيرهم إيجابياً بناءً مجداً. وهذا التفكير الهادئ المتفاعل يظهر أثره في المس الكهربي الذي يشعر به كل من يصافحك، وفي انبساط أساريرك، وفي البسمة العذبة الحلوة، المنطبعة على ثغرك، وفي البريق اللامع المتألق الذي يشع من عينيك.

وإذا كنت تواقاً لأن تكون خدوماً لأخدانك وخلّانك؛ وإذا كنت راغباً في شيء يجعل لحياتك قيمة أكثر من قبل، ولكل دقيقة تعيشها

ثقلا له قيمته في هذا الوجود الكبير، عليك أن تأخذ على عاتقك واجباً صغيراً وتعمل على تأدية خير أداء: هو أن تكون مبشراً بالسعادة، ساعيا إليها بقدر ما تستطيع. تخير لأحاديثك اللفظة العذبة، والكلمة الطيبة، فالكلمة الطبية كالشجرة الطيبة، أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين. وبذلك ستظل شمس حياتك مشرقة، لامعة، ألقة وضوء شمسك متوهجاً، ذهبياً، أخاذاً.

الشخصية.. ما هي ، وكيف تغيرها؟

العظمة هي الشخصية، وللعظمة مقاييس، وقد يكون كل عظيم ذا شخصية، ولا يكون كل ذي شخصية عظيما.

"**نابليون**"

إن قوة الإنسان وعظمته ومجده كل هذه تتوقف على صفات جوهرية.

"**بيكنسفيلد**"

الشخصية شجرة، والشهرة ظلها.

" **أبراهام لنكولن**"

كم منا في وقت من الأوقات من لم يحسد صديقاً من أصدقائه على شخصيته، أو يغار منهم؟.. وكم منا من لم يذهب لسماع محاضرة إلا وأحس بخيبة أمل كبيرة لأن المحاضر لم يجتذبنا بحديثه، ولم يخلب لبنا، ولم يؤثر علينا بشخصيته؟.. وكم منا من تأثر بشخصية متحدث إلينا فأسلمنا إلى نوم مغنطيسي جعلنا نتقبل كل ما يقول، دون أن نتبين أو نتفحص الحقيقة مما يقول؟..

إننا كثيراً ما نلتقي بمثل هذه التجارب في دنيا الأعمال، وكثيراً ما

نرفض الشراء من بعض الباعة لأنهم "يعاملوننا بطريقة مخطئة". وفي التدريس يخفق بعض المدرسين في مهنهم لأنهم ليست لديهم الشخصية التي يمكنهم بها كسب حب التلاميذ واحترامهم. ومؤلفو الروايات والقصص الخيالية يحاولون تصوير أبطالهم وبطلاتهم ووصفهم بصفات وحالات مستحبة، ورسم أراذلهم بطريقة تجتذب استهجان القارئ واستنكاره.

فإذا أخفقت في سلب لب أصدقائك، أو في الاستحواذ على عقولهم، وإذا كنت على طرفي نقيض مع زملائك في العمل، فقد آن لك أن تتبصر في نفسك جيداً وتتحقق من ذاتك. لأن السبب – على الأرجح، وفي أغلب الأمر – يكمن في شخصيتك.

وإذا كنت ممن يتلقون الأوامر، أو ممن يقومون بعمل روتيني لشخص آخر أدنى منك عقلياً، من كل الوجوه، فقارن نفسك بهذا الشخص وستجد أنك تفتقر إلى بعض صفات شخصية معينة.

وقد يبدو غريباً معرفة ما للشخصية من أهمية، حتى إن قلة قليلة من الناس من يتبصر في شخصيته أو يقوم بمحاولة لتحسينها، ويقنعون بمركزهم الراهن كأمر نهائي دون أن يعملوا شيئاً يخرجهم مما هم فيه من وضع وضيع. فهم لا ينظرون إلى وضعهم هذا إلا أنه قبر يغيبهم عن صوابهم، وسيهبطون إلى درجة أقل من مركزهم الحالي. إن الرضا بحالتهم الراهنة كحل نهائي ليس أسوأ ما في الأمر. لأن الفرد لا يستمر في سكونه أبداً، ولا يكف عن الحركة أبدا. فهو صائر حتماً إما إلى أسوأ،

وإما إلى أحسن.

ولكي نفهم كيفية تحسين أو تعديل شخصيتنا، لا بد أن نعرف ما هي الشخصية. والخطوة الثانية هي أن نعرف أو نكشف عما إذا كان من الممكن تعديلها أو تحسينها. والخطوة الثالثة هي أن نتأمل جيداً طريقة تحسينها إذا كان من الممكن تحسينها.

فما هي الشخصية؟..

إنها تختلف تماماً عن الخُلق، لأن الشخص قد يكون لصاً أو نشالاً، ومع ذلك تكون له شخصية لا بأس بها. ومع أن الخلق والشخصية يختلفان عن بعضهما، فالخلق مع ذلك عنصر من عناصر الشخصية. وهو ليس كالحذق أو الطبع أو الجمال أو الكلام ولو أن هذه الأشياء جميعها تدخل في تكوين مجموع الذات، أي الشخصية التي لا يمكن تفسيرها أو تعريفها.

ولا يمكن أن يجتمع متقشف وسكير في مكان ما لمدة عشر دقائق دون أن نعرف شيئاً عن شخصيتهما. ولا يمكننا بحال أن نتحدث كثيراً عن شخصية رجل غريب بمجرد النظر إليه وهو جالس على مقعد دون أن يبدي أي حركة. ولكن في اللحظة التي يبدأ فيها أن يتحرك ويتحدث، يمكن أن نعرفه ونعرف ماذا يكون!..

لقد استقر رأي كثير من الثقات على أن: علم فراسة الدفاع،

وتحليل الخلق، الاستنباء بالعدد.. وسائل لقراءة الشخصية.

ويقول هنري ترال في كتابة "سيكولوجية القيادة" إن المرء لكي يكون قائداً يجب عليه أن يبيع نفسه للآخرين. ولا يمكنه القيام بذلك إلا عن طريق شخصية راقية، ناضجة.

وهناك، على حد قول هذا الكاتب، تسع صفات أو عوامل أساسية هي: الحيوية والانفعالية، والإخلاص، والجاذبية، والعقلية، والروحانية، وسلامة النية، والجرأة، والفردية.. ويقول بعد ذلك إن هذه العوامل يمكن تقويمها وتقويتها.

ومن العلماء من حلل الشخصية إلى عشرين عاملاً منها: الطموح، والفاعلية أو التأثير في الحديث أو الخطابة، والصداقة والحصافة أو اللباقة، والابتهاج، وسلامة الرأي، والأناقة، حسن تدبير الأمور.

ودلت التحريات التي تجمعت منذ بضع سنين في إحدى الجامعات على أن الشبان الذين يحصلون على درجات عالية، الذين يخالطون غيرهم، يحسنون الاندماج معهم، هم الذين يصيبون نجاحاً أكبر بعد تخرجهم من معاهد التعليم.

وجاء في أكبر عدد من الإجابات على أحد الاستفتاءات أن الصفات المميزة التي رآها كبار رجال التعليم في المعلم الصالح هي: الشخصية، والمظهر، واللباقة، والتحفظ، والوسامة، والحماسة، والحيوية، والإخلاص، والتفاؤل، والمعرفة، والعطف.

وفي بعض الأحيان، تبدو الشخصية مركبة، وفي ذلك يقول واطسون، زعيم المدرسة السلوكية: "إننا يجب أن نعتبر مجموع موجودات الفرد (الفعلية والمحتملة) وديونه (الفعلية والمحتملة) في الجانب المعارض مثل شخصيته. ونعني بالموجودات ذلك الجزء من مهمات الفرد ومعدات الذي يعمل من أجل إصلاحه وتقويمه واتزانه في بيئته الحاضرة، ومن أجل إعادة تقويمه وإصلاحه ثانية إذا تغيرت البيئة؛ ونعني بالدين ذلك الجزء من مهمات الفرد الذي لا يعمل في البيئة الحالية، والعوامل المحتملة التي يمكن أن تمنع أو تعوق نهوضه ليتلقى ببيئته مختلفة".

وهناك آخرون يعتبرون الشخصية كنتيجة تعاونية، ومحصول تركيبي لهذا الإصلاح المتباين بين ما تفعله الدنيا بنا، وبين ما نحاول أن نعمله لمواطنينا.

إنني سردت هذه الابتداعات أو التخريبات لأبين إلى أي مدى كانت الشخصية قابلة للتفسير، ولأبين كذلك وجهات النظر المختلفة الخاصة بها، والمحاولات الكثيرة التي قام بها الأخصائيون وأهل الخبرة لإيجاد تعريف لها. ولكي لا يحرف المعنى من غرضي، أقول أني لا أتحدث عن الشخصية بأي حاسة مختصة بالفلسفة العقلية. وإنني لا أبحث ولا أتكلم في الذات، أو الذات الأخرى، أو الأنا، أو العقل الواعي، ولكنني أنظر إلى الشخصية بالطريقة التي ينظر بها البعيدون عن الفن لا أقل ولا أكثر. وإن "شيئاً ما" هو الذي يبعثنا على القول بأن

شخصا بعينه يسبي العقول، وذو نفوذ، وجاذبية وتأثير.

وينبغي لنا، دون شك، أن ندخل في مناطق اللاشعور والتحت شعور لكي نكشف عن بؤرة العادات والمسالك العصبية التي تكون الارتكاسات التي يهمنا أمرها. ولكننا لا نهتم بشيء آخر أكثر من ذلك. وسنبدأ بأن نفترض أن ميكانيزم الشخصية مخبوء في أغوار التحت شعور. وأظن أن هذا صحيح لأن جميع العناصر أو المواد الأصلية التي تتكون منها الشخصية تتعلق بالتحت شعور الذي يضبطها ويحكمها على أوسع نطاق. وأظن أن هذا صحيح، فضلا عن ذلك، لأن هذه العناصر تبدأ قسراً كضروب من التجارب؛ ثم تصير محاكاة، ومن ثم تغدو عادية. إنها في بادئ الأمر قهرية، تتم في الغالب لا شعورياً، ولكن في مقدورها أن تصير إرادية، كما يشاهد من محاكاة الأطفال.

إن خبراتنا جميعاً في الحياة تحكمها وتحددها ثلاث قوى هي: الطاقات الموروثة، والأوساط البيئية، والتأثير الوهمي؛ فالصورة في العقل هي المشكلة والخالقة كأية قوة من القوى التي تخرج من الأسلاف أو من البيئة. وعن طريق أصل الصورة أو جرثومتها يمكننا أن نضبط ونكيف تأثيرها الوراثة والبيئة. أما المنبه المرشد في جرثومة الصورة هذه فهو الذي يوجه حياتنا ومن خلال هذه القوة فحسب صار عظماء العالم، ولا سيما أولئك الذين استخفوا بالوراثة والبيئة، إلى ما هو فيه من عظمة ومجد. لقد اهتموا بهذه القوة وحرصوا على أن يجعلوا أمامهم الصورة التي يريدون أن يكونوا عليها. ولم يتوقفوا عند هذا الحد، بل إنهم وقد

فعلوا هذا عادوا وتأكدوا مما يفعلونه. ولا يستطيع أي فرد يريد أن يكون عظيماً، أو يريد أن يغيِّر شخصيته، أن يؤمل نجاحاً إذا توقف عند الصورة.

وهناك كثير ممن يلتمسون الشيء ويجلسون في انتظار تحقيقه. وعندما لا يلوح في الأفق ما يدل على تحقيق ما يريدون تتزعزع عقيدتهم ويفقدون ثقتهم بالسماء. في حين أن الإيمان ضرورة لا بد منها. إلا أن هناك شيئين آخرين على الأقل مطلوبين لتحقيق الغرض. فالفرد يجب أن يكون عنده الاستعداد لمواجهة العواقب والتبعات إذا كانت هناك تبعات. ويعمل شيئاً يجعلها تحدث. وهكذا الحال مع النجاح؛ وهكذا الحال مع تغيير الفرد شخصيته؛ فالإيمان بالصورة ضروري، ولكن يجب أن يكون الفرد مستعداً لمقابلة التبعات إذا وجدت.

وبما أن العادات وجميع العناصر السيكولوجية الصغيرة التي تعمل على تكملة الشخصية، تتكون لا إرادياً، فيجب أن تستبدل إرادياً وشعوريا. وعلى الفرد أن يعمل مجهوداً شعورياً لاستبدال القوى المخربة.

إن أحلام الفرد وخططه ورغباته وصوره هي التي تعين اتجاهه في الحياة. أما الإرادة فعليها إطاعة التخيل بصرف النظر عن العواقب أو التبعات. وإنما الأعمال بالنيات، إنما لكل امرئ ما نوى. إنه يرث اللبنات وأخشاب العمارة الخاصة بطبيعته؛ أما موقع البناء فقد أعدته له البيئة؛ وأما تصميم المنزل – منفعته، ونجاحه وجماله – فإنما يقاس بالصور العقلية.

إن العادات الحسنة، والدوافع النبيلة، والميول المهذبة، والذكاء، والتفكير الوديع، والاتجاه والسلوك الذي ينشأ عن هذا كله إذا فرضنا أنها تكون شخصية جذابة، فإن الفرد يمكنه أن يكيف شخصيته بقدر ما يمكن أن يحقق العناصر السيكولوجية لأنه بمجرد أن يقوم بهذا التحقيق يكون على استعداد لتقويمه وتثبيته في خلقه وفي تركيبه العام ببعض تمرينات ضرورية لتحسين كل منها، ونذكر منها ما يلي:

اعرف ما تريد:

قبل كل شيء يجب أن تعرف ماذا تريد، لأن معرفة الفرد أخطاءه بداية الحكمة. ولذلك فإن أهم شيء هو معرفة نوع الشخصية التي يجدر بنا اقتناؤها، إذا كنا غير راضين عن شخصيتنا السابقة. والفرد إذا كان يأمل تحسين شخصيته، فعليه أن يعمل شيئاً أكثر من التأميل. وعليه أن يعمل شيئاً أكثر من الرغبة التي يرجوها، ويجب عليه أن يبدأ بشيء بسيط ومحدد في عقله. فإذا بدأ وفي عقله أي شيء من الشك أو التردد فسيقضي على نفسه قضاء مبرماً.

والشخصية هي نتيجة ما يحدث لنا، لأن الحياة تميل إلى احتضان ارتقائنا وتحسين تطورنا بالرغم منا. فمن الواضح إذن أن بيئة موطننا، مثلا، تلعب دورها في تشكيل شخصيتنا. والأسرات لديها اتجاه إلى التفكير والعمل بطريقة مماثلة، لتكون نوعاً من الشخصية الأسرية. فنحن إذا قلنا "إن الطيور على أشكالها تقع" أو إذا قلنا "حدثني عن معاشريك

من يكونون، أقل لك من تكون" فهذا يشير إلى الاعتقاد الشائع عن أثر البيئة في الشخصية، فيمكننا تبعا لذلك أن نحكم شخصيتنا بالقدر الذي يمكننا به أن نحكم هذه العناصر. فعشراؤنا، ومهننا، وحياتنا المنزلية، والبيئة بوجه عام، تؤثر بالخير أو بالشر في اتجاهاتنا وميولنا تجاه الأناقة، والذوق في الملبس، والأساليب الرقيقة، والخلق الكريم، وعزة النفس، والوقار في كل مجلس أو جماعة، وكل هذا يلعب دوره في منحنا شخصيتنا.

قدَّم إيحاءات إلى اللا شعور، وكون صورة ذهنية، واحتفظ بالصورة أو النموذج أمام لا شعورك. والفعل الموافق سيقوم بالاقتداء. والإيحاءات العرضية تنتج نتائج عرضية. والجسم دائم التعير خلال خلايا الحياة؛ فالعقل والجهاز العقلي دائم التغير خلال جراثيم الصورة الذهنية. وهكذا، إذا عرف الفرد هذا، فعليه أن يكون متفائلا بالخير. وعليه أن يوحي إلى نفسه إيحاءات بناءة، ويفكر تفكيراً إيجابياً. فالأفكار السلبية أشبة بالنظر إلى الوراء، ولن يصل الفرد إلى أي مكان إذا نظر إلى الوراء. فابدأ من الآن في تشكيل حياتك وتكوين شخصيتك من جديد.

وابدأ من حيث أنت:

أما الذين يحاولون أن يبدأوا من حيث يحبون أن يكونوا فهم مخطئون. إنهم يعجبون بشخص معين ويودون أن تكون لهم مثل شخصيته. ويقرأون في علم النفس التطبيقي ويبدأون في تطبيق ما قرأوه،

فتكون النتيجة إخفاق مريع.. لماذا؟ لأنهم رأوا بكل بساطة أن يبدأوا من عند هدفهم. مع أن كرة القدم يجب أن تركل من وضع ما في الملعب، ثم تنتقل من هجمات الخط الأمامي واندفاعات الجناح إلى أن تصل إلى المرمى.

إن العنصر الحيوي الثابت في الشخصية هو مثالية الفرد، تماماً كما في الإدارة والخلق. فطالما يضع الفرد أمام عقله الصورة التي يريد أن يكون عليها، ستتيح للنموذج أن يتكون، ويأتي الدور بعد ذلك على التركيب البنائي لإتمام النموذج. وإذا كانت لدى الفرد الرغبة في تغيير شخصيته، فعليه أن يغير الصورة التي أمام عيني عقله. ويجب أن يغير مثاليته، والفرد يسمو أو يهبط في حياته المعيشية على قدر فهمه وإدراكه للأمور، وتطبيقه لقوانين الطبيعة.

دعم نفسك:

اتخذ نموذجاً.. واعمل كما تعمل أي حائكة، قص جزءاً واحداً في كل مرة. فالحياة لم تصنع بالآلات، ولا يمكن لعناصر حياة الفرد أن تتكيف أو تحور. وأنت لا يمكنك أن تحطم آلة ثم تفصل قطعة من القماش. بل يجب أن تأخذ جزءًا جزءًا، وتستعمل مقص قوة إرادتك وتخيلك!..

ولكي تتحقق من أن أنت هو أنت، ومن أنك في الحاضر هو ما كنت عليه في الماضي بسبب الوراثة، وتأثير ما قبل الولادة، والتجربة

التي تعقب الولادة، والتربية، يجب أن يكون هناك المشجع لذلك لا التثبيط والمعارضة.

أما أن تفكر في تلك الأشياء على أنها غير قابلة للتغير أو التبديل، وعلى أنها من الأمور التي تتعلق بالقضاء والقدر، فهذا شيء يمحو الشعور، ويفقد الحس، ويسلب الوعي صحيح أنك لن تقدر على طرد هذه المؤثرات، ولكن بإمكانك أن تستعيض عنها بدوافع أقوى وقوى أعظم. وليس ثمة عادة يمكن "تحطيمها"، ولكننا نحصل بسهولة على باعث أقوى. ولهذا السبب يجدر بنا أن نكون عادات حسنة منذ الصغر.

والتعويض أو الاستبدال هو ما يجب أن نهتم به. فالعقل التحت شعوري، إذا أعطيته فرصة، فإنه سيستبدل لك في الحاضر النشاط الباني الذي سيحل محل القوى الهدامة التي كانت تعمل في الماضي.

وابدأ بدراسة نفسك، وهذا لا يمكن أن يكرر كثيراً.. اعرف أين أنت الآن، ثم قرر أين تريد أن تكون..

يقول بعض الثقات إننا يجب أن يكون لنا ست ذوات: ذات تتكافأ مع المشاكل ومع بيئة الموطن، وذات للحياة الاجتماعية، وذات لدنيا الأعمال، وذات لخارج البيت، وذات للفكر، وذات للروح. وأنهار التعبير هذه إنما تتدفق في بحيرة النتيجة الجميلة التي ستغدو فيما بعد شخصيتنا. وإذا كانت البحيرة جميلة وواسعة ورائعة، فذلك يرجع إلى قوة وجمال وصفاء الأنهار التي تغذيها.

إن الزمن الذي تنمو فيه العادات، وتتكون فيه السمات المرغوبة في الشخصية، هو زمن الطفولة دون شك، ولذا يجب أن يحرص الآباء على أن يكونوا متنبهين للوسط أو المحيط الذي ينشأ فيه أطفالهم. فالنماذج القديمة تميل للظهور بعد سنين. وإذا كانت هناك بعض أنظمة لرد فعل قد تكونت، وليس من السهل تغييرها، فليس لذلك من سبيل إلا أن يحل محلها منبهات أقوى.

إن ذلك الذي تمتلكه، مهما كان، ليس بكثير. وليس بكثير كذلك، ذلك الذي تفعله بما تمتلك..

إن شاباً يرث الملايين قد يموت فقيراً معدماً، في حين أن شاباً فقيراً صعلوكاً قد يستخدم ذكاءه، ونبوغه، ويستثمر نقوده، فيموت وهو من أصحاب الملايين!.

إذن، فاكشف عن درجة عقلك، وعن مدى ما عندك من إدراك، واستعمله على خير ما سكون الاستعمال.. وابدأ من حيث أنت.

عشر طرق لمقاومة الإخفاق

يشق على الإنسان أن يخفق، ولكن عدم محاولته النجاح أقبح من ذلك.

"روزفلت"

سبب إخفاق الكثيرين، أنهم لا يعرفونه مواطن الضعف فيهم.

"شكسبير"

تريدنا الحكمة شجعاناً لا نبالي بشيء. تريدنا أشداء مستهزئين، لأن الحكمة أنثى، ولا تحب الأنثى إلا الرجل المكافح الصلب.

"نيتشه"

العمل المشترك يوحد النفوس بقدر ما تفرقها الأثرة ومحبة الذات.

"أناتول فرانس"

قال دزرائيل عندما وقف في البرلمان ليخطب لأول مرة في حياته وقوبل بعاصفة من السخرية والاستهزاء: "سيأتي اليوم الذي تشتاقون فيه

لسماعي".

فالنجاح غالباً ما يكون على ناصية الطريق الذي تريد أن تتفاداه، بل قد يكون قريباً من المكان الذي تقف فيه وتريد أن تغادره.

والإخفاق كثيراً ما يكون مألوفاً بين أولئك الذين يحاولون عمل أشياء عظيمة، وأولئك الذين ينطوون على أنفسهم ويستقلون بذاتهم، وغير الطموحين، والقانعين بحالتهم الراهنة.

ويخفق الكثيرون لأنهم لم يتعلموا من أخطائهم، أو لأنهم لا يبذلون من الجهد في أعمالهم شيئاً. ولا يؤثر في نجاح المرء أو فشله مال أو ذكاء أو مركز أو جاه أو نفوذ أو مظهر أو حظ بقدر ما يؤثر فيه اتجاهه نحو الحياة. فإذا ظننت أنك تحت رحمة القضاء والقدر أو القسمة والنصيب فإنك ستقهر وستغلب على أمرك قبل أن تبدأ. أما ما الذي سيعمله الآخرون، وما الذي ستكون عليه الأحوال وماذا سيأتي به المستقبل، فلا أهمية له مطلقاً. وأما الذي يعتد به فهو الطريقة التي يجب أن يتبعها المرء. وأنت يمكنك أن تضبط وتحكم أكثر الأشياء أهمية وهي: اتجاهك، وميولك، ونزعاتك، وإرادتك. فلكي تتغلب على إخفاقك يجب عليك أن تحلله وتتخلص من أسبابه، وتتجنب تكراره أو إعادته.

١. دع شجاعتك تحطم مخاوفك:

إن شجاعتك ستبعث فيك روح الإبداع والإنشاء. وستفتح لك

أبواب الفرص، وتستخرج لك قواك المخبوءة، وتملأ رؤياك بالإمكانيات. أما مخاوفك فستحطم ثقتك بنفسك، وتجفف ينابيع إلهامك، وتعتم رؤى أملك. يقول جون باترسون، منشئ آلات تسجيل الدورات في آلة النقود: "إذا قدر وجاء وقت لا يكون فيه للشجاعة أي ضرورة، ولا يكون لها لزوم لتكافح ضد الحواجز والعقبات، فسأعرف أن الوقت قد حان لأوصد مصراعي النافذة، وأصرف القدرة وأرسم النيران طول الوقت".

إن الذين يكسبون أينما كانوا هم الذين يقاومون المصاعب بشجاعة، ويواجهون الشدائد بصبر وحزم. والذين تعلموا ألا يخافوا ولا يفزعوا، وعلمتهم التجارب الجرأة والإقدام. والرجل الذي ينال بسهولة كل ما يطلبه، ويأتيه كل شيء دون كد أو جهد، لن يتعلم الكفاح في سبيل الحصول على الأشياء. وإذا انتزعت من تحته "الدعامات" فإنه يسقط ولا يستطيع معاودة النهوض بنفسه. فالنائبات والضائقات كثيراً ما تكون امتحانات صادقاً للمرء. وأنت إذا أردت أن تفعل الخير، عليك أن تضع كل الرصيد، وتستنفد جميع ما تملك من احتياطي، وتجعل شجاعتك تتغلب على مخاوفك، بل وتستحقها سحقاً.

٢. دع التركيز يحل محل شرود الذهن:

دع الانتباه الكلي والمثابرة، والعمل الجاد، يحل محل عقل ساه، وقلب لاه، وحياة حائرة متخبطة. ولكي يعرف المرء عمله بالضبط، عليه أن يؤديه بكل كفاءة ومقدرة. وعليه أن يساير الزمن ويجاري مطالب كل فرد من الأفراد؛ فالناس إنما يتقدمون بتقدم أعمالهم، وينجحون

بنجاحهم. وحينئذ تواتيهم فرص جديدة، وتتفتح لهم آفاق عمل فذ ومآثر حميدة.

يقول إمرسون: "إنه لسعيد جد السعادة ذلك الشخص الذي وجد عمله". فإذا وجدت عملك، وأمكنك أن تضع فيه قلبك، فستكون في طريقك إلى السعادة. أما إذا لم تجد عملك فستكون دائماً حائر الفكر، شارد البال. وستكون في طريقك إلى البؤس والتعاسة والإخفاق. فبإيحاء عملك تجد الدرب الذي يوصلك إلى النجاح.

ومهما كان العمل الذي عند الإنسان، وكيفما كان، إذا ركز فيه عقله واندمج فيه بكليته، فلابد أن يتم على أحسن ما يكون.

يقول ديكنز: "إن الصفة الوحيدة، المفيدة، المأمونة، المربحة، التي لا بد من الحصول عليها في كل غرض من الأغراض وفي كل مهنة من المهن، وفي كل أمر يتعلق بالدرس أو التفكير أو التأمل هي صفة الانتباه".

ويقول إديسونت: "إنني إذا شرعت في عمل أو بدأت في أي شيء فلابد أن يمكث أبداً في عقلي، وليس من السهل بأي حال أن أتحول عنه أو يتحول عن عقلي حتى يتم".

فبالطموح يصل المرء إلى هدفه، ويجد السعادة التي كان يظنها وقفاً على قليل من الناس. إن الشخص الناجح ليس هو الذي يبدأ ثم يقف، وإنما هو الذي يبدأ ثم يثابر ويصر على النضال. فإذا أردت أن

تقاوم إخفاقك وتتغلب عليه، يجب أن يكون عندك الانتباه الفاره، والإصغاء الذكي الفطن، والإدارة الحاذقة الحازمة، والمثابرة، والإصرار على العمل في الأوقات العصبية القاسية بنفس الحماسة والحمية التي تعمل بها في الأوقات السهلة.

٣. دع معرفة الذات تحل محل الجهل بها:

لقد كانت دلفي، باليونان، مهبط وحي أبولو المشهور، حيث راح العالم يبحث عن المستقبل، ويرجو الظفر بمشورة في المسائل المعقدة أو الأمور المحيرة. وهناك فوق الكهف الذي كان على هيئة مزار وضع حجر كبير نقشت عليه هذه النصيحة التي وجهها أرسطو إلى كل سائل: "اعرف نفسك"

إن التحليل النفسي، وهو أحدث ما في علم النفس، بكل ما فيه من مزايا، يرجع إلى هذه الحقيقة: "يجب أن يحلل الفرد نفسه". ولقد عرف نابليون هذه الحقيقة فقال "من يملك نفسه يعد أكبر منتصر". ومن قبل نابليون بآلاف السنين عرفها لقمان فقال: "من عرف نفسه فقد عرف ربه".

إنه لشيء عظيم، إذن، أن تطلع على خفايا نفسك، وتلم بمكنونات ذاتك. ولقد أخفق الكثيرون لأنهم لم يعملوا "جرداً" أو "كشف حساب" لصحتهم وعاداتهم صفاتهم ومؤهلاتهم وطباعهم وميولهم وترتيبهم.

إنني أعرف أربعة رجال كانوا من المخفقين: مدير بنك لأنه حاد

الطبع سريع الانفعال، ورجل أعمال لأن هيئته كانت تبدو عليها الكبر والغطرسة والتعالي، ومزارع لأنه كان غير موثوق به، غير جدير بالاعتماد عليه، ورجل دين مرصع بالذهب، وممتلئ شحماً ولحماً..

إنه لمخفق ذلك الرجل الذي يتبختر زهواً، ويتمايل عجباً كالطاووس، ويرتدي إهاب الطير فيما يتعلق بأموره المالية والاجتماعية، ويظن أن الأثواب الزاهية الجميلة هي التي تصنع منه رجلاً. فمن كان هذا شأنه يكون النجاح بالنسبة له كجلد النمر المقلد الموشى بخرز من زجاج.

إن العالم اليوم لينظر إلى الرجل الذي يعرف تماماً نوع العمل الذي يناسبه، والذي يريد أن يضع نفسه في المكان الصحيح الذي يوافقه، والذي يشتهي أن يكسب بعرق جبينه ما يكفل له حياة أمينة شريفة، والذي يود أن يرى المحيطين به سعداء؛ والذي يمكنه أن يضيف شيئاً، أي شيء، إلى الإصلاح الاجتماعي والبشري، وإلى الإنسانية جمعاء.

٤. تخير أصدقاءك ومعارفك باعتناء:

إنما يُعرف المرء بأصدقائه الذين يخالطهم ويخالطونه، ويعاشرهم ويعاشرونه، وكل قرين بالمقارن يقتدي. وهكذا نعرف في الغالب اتجاه ذات الفرد، ودائرة أفقه، ونوع مبادئه في الحياة. وأنت ينبغي لك أن تراقب الصداقة كيف تمضي.. هل ترى أن أصدقاءك عون لك، أم أنهم عالة عليك؟... إن الصديق يُعرف وقت الضيق. والصاحب الذي له

أوطار، إذا قضاها طار. فالأصدقاء المسيئون الذين من هذا الطراز يميلون إلى تشويه سمعتك الطيبة، وعرقلة أعمالك المجيدة، والتقليل من مركزك الاجتماعي، وإثنائك عن مثلك العليا، وإخلالك عن سواء السبيل.

أما الأصدقاء الأوفياء الذين تغلب عليهم صفة الاستقامة، فإنهم يضيفون إلى شخصيتك خلقاً حميداً، ويزيدون أطماحك تأثيراً ونفوذاً، ويذكرونك بالثناء والإكبار لدى الآخرين في غيبتك.

فتحاش جهدك الصاحب ذا السمعة السيئة، والعشيرة الإمعة، وابعد عنه بعدك عن كلب أجرب. واندمح في جوقة الطامحين والمثابرين.

٥. دع الغرض المحدد يحل محل العمل المشتت:

حدثني مدير إحدى المؤسسات الكبيرة الناجحة بقوله: "إنني التقيت في الخمس عشرة سنة الأخيرة بعشرة آلاف رجلا تقريباً. فوجدت أن الرجل الذي له غرض يستهدفه، وله دافع يستحثه، وله فكرة محددة واضحة عما يريد أن يفعله، فرد نادر قليل الوجود".

فالناس الذين لا غرض لهم كثيراً ما يكونون تحت رحمة القدر. إنهم لا يستطيعون السيادة على أنفسهم، ولا يمكنهم السيطرة على نصيبهم أو التحكم في مصيرهم. إنهم عبيد الظروف والأحوال. بل إنهم أقرب شبهاً بالسفينة بدون خريطة أو بوصلة، وليس لها مصير تصير إليه، أو وجهة معينة ترجو الوصول إليها، فلابد أن تجرفها موجة كبيرة من موجات بحر الحياة الصاخب.

إن الغرض المحدد يركز انتباه الفرد ويجمعه في نقطة مركزية ويضبطه على الهدف. إنه يسخِّر طاقة الفرد لغاية واحدة. وإنه ليشحذ حد ذكاء الفرد ويرهف قريحته. وإنه ليضفي على الحياة معنى جميلاً.

فإذا رغبت في أن تتغلب على الإخفاق، فدع غرضاً بعينه يسيطر على نفسك، ويقودك إلى دراسة هادفة جادة، ويبعث فيك روحاً طامحة، ويوحي إليك إيحاءات بناءة، ويلهمك بمجهود فيه بعض التضحية للبلوغ إلى هدفك.

٦. دع الاقتصاد يحل محل الإسراف:

لست أعني بالاقتصاد أن يكون الفرد شحيحاً أو بخيلاً، فالاقتصاد ليس معناه أن نجوع اليوم لنأكل غداً، ولا أن نضحي بسعادة يومنا في سبيل راحة غدنا، أو أن نكون اليوم نساكاً متعبدين من أجل مركز الحياة الاجتماعي غداً.. لقد عرف بنيامين فرانكلين الاقتصاد بأنه: "إذا عرفت كيف تنفق أقل مما تحصل عليه، لاستحوذت على حجر الفلاسفة". ويقول روكفلر: "أؤمن بأن حسن التدبير ركن من أركان الحياة المنتظمة، وأن الاقتصاد عنصر أساسي في كل بنيان مالي سليم.. الحكومة، والأعمال، والحياة الخاصة".

فالاقتصاد حالة من الحالات العقلية التي تقيس وتزن الحياة بإمكانياتها في التحصيل، والتي تطبق أحسن جهودها بالآلات والعدد الموجودة لعمل معظم الحاضر ليكون أساساً ثابتاً مناسباً للمستقبل الذي

يستحق الذكر. فلتكن إذن مدبراً مقتصداً في وقتك ومالك وصحتك ومواهبك وفرصك. ويجب أن تتعلم كيف تدخر المال، فهو الوسيلة الوحيدة للتعبير عن حياتك ووقتك وجهدك ودراستك وأملك وعملك.

فإذا كنت تريد أن تعرف إن كنت سائرا في طريقك إلى النجاح أم لا فيمكنك أن تعرف بسهولة، والاختبار سهل بسيط ومنزه عن الخطأ، وهو: هل أنت قادر على أن تدخر مالاً؟.. إذا لم تكن كذلك، فستضل الطريق، وستخفق وتمنى بخيبة أمل كبيرة وتكون من الخاسرين. لأن بذرة النجاح ليست فيك.. هل أنت مخفق لأنك مسرف ومبذر؟..

إذن كن مقتصداً، وثابر على الادخار، وستجد نفسك سائر في طريقك إلى النجاح.

٧. دافع عن المثل الأدبية العليا:

إن القوانين الأدبية الأساسية عامة وعالمية، جامدة قاسية، ثابتة محققة، مثلها كمثل قوانين الطبيعة، ونجوم السماء، والشمس المشرقة. ومن الأمور الجوهرية أن قوانين الأرض والبحر والسماء إنما هي قوانين أدبية يؤيدها الاعتقاد بأن: "هناك قوة في العالم تعمل للتقوى والعدل والقسط".

قال مدير أحد البنوك: "إنني لا أعتبر أي شيء أكثر أهمية من الرجل الذي له عقيدة ثابتة راسخة في القوة الإلهية، وثقة بالواحد الأحد الذي لا يتخلى عنه في ساعة المحنة والحرج والضيق، فيمده بالقوة

والشجاعة ليعمل عملاً صالحاً، ويحفظ نفسه نقياً تقياً، مخلصاً، أميناً، وفياً".

فالمبادئ الأدبية التي يدعمها الاعتقاد الديني ستجعلك تنافح بقوة عن القضايا والأغراض التي لها قيمتها ولها خطرها. وإنها لتبث فيك الاستقامة والطهارة والأمانة والإخلاص والوفاء. إن العمل بالعادات المرعية أو المألوفة، والامتثال للعرف أو التقاليد لا يكفي. بل لا بد أن يوجد الخلق المتين النقي، الحر، والمثل العليا، والمجهود النبيل، والسعي المشكور؛ فالحياة بدون مثل أدبية عليا تحكمك وتسوسك، ستصبح حياة ضحلة سطحية، لا لذة فيها ولا متعة.

٨. دع التعاون يحل محل التفرد:

يجب أن تذكر دائماً أن النجاح شيء اجتماعي؛ وأنك تستفيد مما يحيط بك وممن يحيطون بك من خير اجتماعي؛ وأنك زميل وشريك في المجتمع؛ وأن وظيفتك هي أن تؤهل نفسك وتعدها للنظام الآلي في منشأتك أو إدارتك. وهذا ما يسمى بالتعاون..

فالتعاون هو القدرة على عمل الشيء الذي يكون فيه دائماً النفع والفائدة للجمعية أو المؤسسة أكثر من الفائدة التي تعود على الإدارة الشخصية أو الفردية. والتعاون كما يقول ابن خلدون: "من أهم أركان الحياة، لا يستغنى عنه الإنسان ولا الحيوان".

وإذا أردت أن تغلب فشلك يجب أن تعمل مع الآخرين، وأن تمثل

دورك في الحياة مع الآخرين، فالناس بالناس، وخير الناس من عاون الناس. يقول الحديث الشريف: "الناس بخير ما تعاونوا" ويقول أناتول فرانس: "العمل المشترك يوحد النفوس بقدر ما تفرقها الأثرة ومحبة الذات".

وأنت ينبغي لك أن تشتغل مع غيرك، وتنسجم مع غيرك، وتجعل نجاح أولئك الذين تعمل من أجلهم هو الغرض الأسمى لسعيك واجتهادك، وبهذا فحسب ستتغلب على إخفاقك.

٩. دع الدوافع النبيلة تحل محل الأغراض الوضيعة:

إن أعظم ضرورة على الإطلاق لشباب الجيل هو الدافع النبيل؛ فالمثل العليا هي التي تحكم العالم. والمثل العليا مع الفكر هي التي تصنع الرجال، والدوافع هي التي تكيف الحياة وتصوغها.. والأهداف هي التي توجه نشاطنا وهمتنا، والتحصيل هو الذي يجتذب الموارد المخبوءة، والأغراض السامية الجليلة هي التي تؤدي إلى الشخصية الفاضلة..

قال روبرت برنيس: "إن أكبر نكبة في حياته هي أني كنت في حاجة إلى هدف".

إن الدافع النبيل هو الذي يساعد على جعل الحياة تستحق الاهتمام. أما المال في حد ذاته، والتعليم، والشهرة، والقوة، كلها مجرد قشور. ولكنها إذا صبت مع دوافع لها قيمتها، فإنها تعمل للأغراض

النبيلة التي لا تفنى ولا تزول وهي: الخلق والنفع والخدمة.

١٠. النظر إلى الأمام يجب أن يحل محل قصر النظر:

قال هنري فورد ذات مرة: "إن أكبر عمل في حياتي هو النظر إلى الأمام". كم لكلمة "إلى الأمام" هذه من قيمة، وكم لها من أثر كبير!...

هناك ثلاثة أصناف من الرجال: "أولئك الذين لا يؤدون كل واجباتهم، وأولئك الذين يهتمون بتأدية واجباتهم، وأولئك الذين يؤدون واجباتهم ويزيدون عليها قليلا".

فالنجاح والإخفاق غالبا ما يحددهما نوع الفرد بالغرض الذي يرمي إليه، سواء أكان يبتغي بذلك تأمين مستقبله وتحسينه، أم كان يريد التضحية من أجل أشياء أفضل.

فإذا أردت أن تقاوم الإخفاق يجب عليك أن تنظر أمامك وتعمل أكثر مما يطلب إليك عمله. وبذلك سيكون النجاح حليفك، وكل من سار على الدرب وصل.

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه

وليس عليه أن يساعده الدهر

طريقك إلى النجاح

إذا لم أجد طريقي في الأرض المعبدة، فسأقتحم القمم الصخرية الشاهقة دون تذمر، لأني أعلم أن كل جهد يتطلب في ذاته الجزاء الكافي عنه، وأن الآفاق الواسعة تنتظر في آخر الطريق.

"جورج صاند"

أؤمن بأن حسن التدبير ركن من أركان الحياة المنتظمة، وأن الاقتصاد عنصر أساسي في كل بنيان مالي سليم.. الحكومة والأعمال والحياة الخاصة.

"روكفلر"

النجاح هو النتيجة الحتمية لسلامة التفكير، وسداد الرأي، وسعة الإدراك، ونفاذ البصيرة. وللنجاح صلة وثيقة بكمية رأس المال الابتدائي أو مقدار الدخل.

ثمة كثير ممن لديهم القدرة على الكسب ولهم إيراد كبير ينتهي بهم الحال على الإفلاس والتدهور، والتخبط في الأمراض والأسقام، ومعاناة البؤس والشقاء، ويكون هذا كل نصيبهم من إيرادات السنة الحتمية. كما إننا نرى كثيرا ممن يعيشون في حدود متواضعة مقتصدة،

يدبرون أنفسهم ويقودونها على منطقة يشملها الهدوء والسكينة والدعة، ويكتنفها الاتزان والقناعة والرضا.

والنجاح في الأعمال لا يعتمد على الغنى والجاه، بقدر ما يعتمد على الشخصية الكاملة المتكاملة. كما أن الإخفاق لا يعزى دائما إلى نقص في المال، وإنما يعزى في الغالب الأعم إلى عجز في العقل، ونقص في الإدراك.

أولا: اتخذ لنفسك قائمة جرد وسجل فيها ما تستكشفه من أسباب أدت بك إلى الرجوع إلى الوراء، وصدتك عن التقدم إلى الأمام. إن التفكير الخاطئ هو المعضلة الأساسية دائما، وهو السبب في ضعف إدارة الأعمال، فهل أنت ممن يفكرون في الإخفاق أكثر مما يفكرون في النجاح؟.. هل في عقلك الخفي اللا شعوري عقدة نقص مزمنة تقف ضد فكر النجاح؟.

"عاصم.. إنك لا تساوي شيئا البتة. ولن تتقدم في عملك قيد أنملة، لأنك متردد متحير، ولا يمكنك أن تبت في أمر من الأمور" ..

هذا الفكرة كانت متسلطة على أحدهم، واستمرت تدفعه إلى الخلف حتى بلغ الأربعين من عمره. إنه حينما كان في الخامسة عشرة كان أخوه الذي يكبره في السن يدشن فيه "عقدة الفشل" هذه ويدفعها في أعصابه اللدنة، حيث رسخت فيه ربع قرن من الزمان.

وفي عيد ميلاد عصام الأربعين حدثت أمور. حدث أن أخاه هذا

الأكبر منه انتابته ضائقة مالية، ومني بكارثة، فجاءه يلتمس منه النصيحة والعون. عندئذ استعاد إلى ذاكرته ما كان عليه منذ خمس وعشرين سنة مضت، ورأى بعين خياله ماذا كان يجب أن يكون.. رأى أنه كان متسلحاً ومعداً تمام الإعداد للنجاح كأخيه سواء بسواء، وأنه كان في ميسوره أن يناضل ويكافح وينافح، ويثبت ويستقر. وبالتالي كان في استطاعته أن ينجح.. لقد كان يتم أعماله وينجز ما عليه من واجبات بهمة فاترة، وحمية كليلة.. ثم رأى بعد ذلك – في لمح البصر – أن كل العناصر التي يتطلبها النجاح، كانت ولا تزال تكمن فيه.. في ذاته. فساعد أخاه وأقاله من كبوته، وانتشله من عثرته. إن هذا النور الجديد، وهذا الإيمان الجديد، اللذين اكتنفاه أعطياه عزماً وثباتاً، ومقدرة لانبثاق جديد من النشاط في العمل صنع له حظه.

ثانياً: هل حياتك كلها متزنة، حتى يكون لك بعض المشاركة في ميول البشرية العظمى فيما يختص بكل من: العمل، وأوقات الفراغ، والألفة، والعبادة؟.. إنك ستلمس فائدة كبيرة، وستجد من المزايا العظيمة ما يعود عليك بالخير الكثير، إذا أوجدت شيئاً تعمله مع كل من هذه الوسائل الرئيسية الأربع التي يقوم عليها النمو الذاتي والرضا البشري.

هل تزاول عملاً مناسباً أو تشغل وظيفة ملائمة تمضي بها ثماني ساعات كل يوم كحد أدنى؟.. خصص ثماني ساعات أخرى للراحة، وللمسائل الاجتماعية، واقضها في الأعمال البناءة وفي الشئون التي تتصل بالتثقيف والتهذيب. ثمان ساعات كثيرة جدا إذا أمضيتها في

اللعب واللهو والبحث عن اللذة. وإذا أنت لم تخصص جزءًا منها للدرس وللتحسين الذاتي، فستكون أهلاً للإخفاق والخيبة، ولابد أن تمنى بهما..

ثالثاً: هل حياتك العملية نفسها متوازنة كما يجب؟

هل تعترف وتسلم بالدعامات الأربع التي تقوم عليها الحياة الجارية، والتي ترتكز عليها الحرفة العملية الناجحة، وهي: أن تكسب، وأن تنفق، وأن تدخر، وأن تعطي؟..

هناك كثير ممن يفنون حياتهم ويهلكون أنفسهم فيما لا ينفع، في حين أنهم في أشد الافتقار إلى فضيلة الإنفاق بحكمة وتبصر، أو الادخار بانتظام وتدبر. إنهم في حاجة إلى تفهم الآية الكريمة: "ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك، ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسوراً".

وهناك الكثير ممن لا يفهمون ولا يدركون أن مبلغاً معيناً من المال إذا وضع بتفكر وتبصر في بعض وجوه الخير إنما هو استثمار تجاري غير مباشر. وأغلب الذين أخفقوا في تجارتهم كانت تسيطر عليهم حالة الإسراف والتبذير.

اشرع فوراً في جعل حياتك كاملة تامة، لا ينقصها شيء من هذه المصادر المالية الأربعة، وبذلك تحصل على أعلى حد وأقصى درجة من اللذة والرضا في كل أعمالك.

قم بعمل تحريات دقيقة عن نفسك. حلل نفسك تحليلاً سمحاً نبيلاً في كل ما يتعلق بعملك أو وظيفتك الحالية. هل هذا العمل يناسبك، وهل هو موائم لك؟

هل أنت مخلص لعملك الإخلاص كله، وهل أنت مكرس له ذاتك؟

هل يقف هذا العمل أمام أي أمل مرتقب في تقدمك وترقيتك؟

أهناك في هذا العمل نماء كامن، ونتاج محتمل؟

هل أنت عادل في تصرفاتك الخاصة بالعمل الذي تباشره، وبالإدارة التي تعمل فيها؟

هل تمارس عملاً تود دائماً وفي كل وقت أن تستبدل به عملا آخر؟

تأن في الحكم على مهنتك الحالية، ولا تحتقرها أو تتنكر لها، فمن الخطأ الجسيم أن يفكر الشاب الصغير أو يتخيل أن (شغلته) أسوأ أو أصعب من التي يشتغلها كثير من أصدقائه، فيقع في براثن العادة المردية، وهي أن يتحدث بالسوء عن أمور رزقه وشئون معاشه. وبعد تكرار هذه الإيحاءات السلبية عن أعماله، مرة بعد مرة، سرعان ما يبدأ في الاعتقاد بصدقها، والإيمان بصحتها، فيخفق ويفقد قيمة نفسه.

وإذا أردت أن تحصل من عملك على إيراد طيب ودخل كبير،

ينبغي لك أولاً أن تعيد تجديد عملك. وعليك أن تمتدحه وتثني عليه عقلياً – هبة من قلبك، سراً وعلانية، بركتك ونعمتك. قل دائماً أبداً إنك تحبه.. وفكر دائماً في أنك تحبه، وحتماً ستحبه. وبعد أن يتم هذا، وبعد أن تتحسن علاقتك بعملك، وتنسجم معه، وتتم المواءمة بينكما، يمكنك أن تعتمد عليه كل الاعتماد، وتكل إليه الأمر في جلب الدخول المطلوب لمعيشتك.

إن الإخفاق والنجاح كليهما يكمنان في عقلك. فأي منهما ستدعو؟ وأي منهما ستفسح له المجال للسيادة والنفوذ؟ ولأي منهما ستخلي مكاناً يبسط فيه سلطته؟..

وبما أن المهنة أو الوظيفة تميل إلى التخصص، فمن المستحيل على الفرد عملياً أن يجد مكانه يوافق عقله تماماً، ويتناسب مع عواطفه وانفعالاته. ومن هنا نرى أن المرء في أشد الحاجة إلى جعل عقله وعواطفه تتناسب مع هويته. أي أنه يجب عليه أن يتعلم كيف يحب مكانه الذي أهل له، والمهنة أو الوظيفة التي تعين عليه شغلها.

إن الطريقة السالفة الذكر سيكون لها معك في توجيه عقلك شأن في غاية الأهمية وأمر عظيم الخطر، حاول أن تجربها..

كثيرون يمكنهم أن يربحوا، ولكن قليلا يمكنهم أن ينفقوا، أي ينفقوا بتعقل ووعي وإدراك.

اعمل ترسيما أو تخطيطاً، وضع ميزانية. إنك تعرف ماذا تكسب.

ولكن كيف يمكنك أن تجعل ما تكسبه يكفي احتياجاتك ويسد نفقاتك؟. قسمه إلى أجزاء، وحدد هذه الأجزاء واجعلها تؤدي ما عليك من ديون، وتدفع عنك فواتير الحساب. تنبه جيداً لما قد يكون من ثقوب أو شقوق.. وتأكد أن الأشياء الصغيرة هي التي تهدم الميزانية في أغلب الأحيان.

اقتصد (نصف فرنك) من هنا، و(ربع ريال) من هنا، ووفر شيئاً مما تصرفه في الكماليات، وشيئاً من الميزانية الخاصة باللهو والتسلية. وابحث عن أنواع المتعة مما لا يكفلك إلا القليل أو أقل من القليل. فالتسلية الغالية التي تزيد عن الحد المألوف إنما هي في الغالب من الأسباب التي تقلل من قيمة الشخص وتصغر من شأنه، وتحط من قدره وكرامته. إنها ترخص من شخصيتك، وتضعف من اعتمادك على نفسك، وتسقط جاهك، وتخفض من حالك.

حاول أن تمكث في بيتك بضع ليال معينة كل أسبوع تقضيها في الاستفادة بأي شيء. وتعلم كيف تمتع نفسك بأقل النفقات، في بعض الأمسيات، وليس ثمة أفضل من الاستمتاع بقصة تقرأها أو كتاب تطالعه، أو مذياع تستمع إليه.

كن شرَّاءً حريصاً، وكن حكيماً أصيل الرأي، متصيداً للصفقات الرخيصة. استخلص الفائدة من السلعة التي تبتاعها، ولا تضيع شيئاً أو تبذر في شيء. ومن اليسير أن تتعلم كيف تستمتع بحرصك ودقتك في نفقاتك ومصروفاتك. لا تشتر ما لا تحتاج إليه فتبيع ما تحتاج إليه. فمن

الإسراف أن تشتري كل ما تشتهي.. واعلم أن الثروة تنتقل من يد من لا يحسن استعمالها إلى يد من يحسنها ستجد لذة أي لذة في تنظيف حلتك القديمة وارتدائها مدة أطول. وستنتشي بالحلة الجديدة التي استخرجها لك الحائك من الحلة القديمة التي كنت سترميها، بعد أن قلبها وعدل ونسق فيها.

رفه، وارتق، وأصلح: هذه الكلمات الثلاث يجب أن تتدخل بخفة، وتتسلل إلى السيطرة على النفس في كل حياة عظيمة، فاخرة جميلة، وفي كل عمل ناجح.

كرر ما يأتي بينك وبين نفسك بكل قوة وبكل حماسة إلى أن يصبح جزءًا من لا شعورك:

إنني أتعلم الآن كيف أنفق من دخلي وأتصرف فيه بحكمة وتبصر.

إنني أقتصد في الأشياء التي تعودت أن أسرف فيها.

إنني أتدرب على صيانة ما أشتريه من حاجيات، وأحرص على حسن استخدامها واستعمالها على أكمل وجه.

إنني لست بخيلاً أو أنانياً أو محباً لذاتي أو كز اليدين، منقبض الكف. ولكني إنسان متأمل، مفكر، متزن.

إنني أدقق في المصروفات الصغيرة، وأتجنب الإفراط الزائد، والمغالاة المفرطة فيما لا حاجة لي به من معادن أو فضيات أو أدوات

زينة مما يعد من الكماليات.

إنني أعرف جيداً كيف أحصل على المتعة والمسرة وأسباب اللهو والتسلية في أوقات الفراغ بأقل النفقات إن لم يكن بدونها.

هذه العادة الجديدة التي من شأنها أن أكون حريصاً في استعمال نقودي، أصبحت جزءًا مهمًا من حياتي اليومية. إنها أعطتني فكرة أخرى تتعلق برفعتي وسموي هي أن أهلل طرباً، وأمتلئ زهواً وابتهاجاً بما أحسه من قوة روحية.

إلى هنا تكون قد تعلمت أن المشكلة الكبرى في حياتك هي أن تحمل نفسك على أن تكون وحدة، أي أن تجعل كل جزء منك على وفاق مع جميع الأجزاء الأخرى، تتعامل مع بعضها بتوافق، وتخدم بعضها بانسجام.

وبعد، كيف تقتصد؟..

إنك إن لم تكن حاولت أن تقتصد فعلاً، فابدأ تواً بوضع مبلغ صغير كل يوم أو كل أسبوع في "حصالة" أو في صندوق الادخار. ابدأ من الآن، واقتطع شيئاً مما يزيد عن حاجتك. واستغن عن الأشياء التي لا لزوم لها، والتي ليست لك بها حاجة.. "اركن" قيمتها، كما أسلفنا، مع مدخراتك اقتن مالاً وأعده، واجعله عدة ليوم الشدة..

ليس ثمة فضل أو فضيلة في التوفير إذا كان الغرض منه مجرد

الاقتناء والتملك، إنما المهم هو ما يمكن أن تعمله بالمال المدخر، وما يمكن أن يعمله لك ومن أجلك.

إنه حاسة الكفاية والسعة والاستقلال والشعور بالاحترام الذاتي..

إنه فكرة امتلاك شيئ ما يتمم أو يكمل دخلك المتناقص بعد فترة من حياتك لتؤمن به مستقبلك..

إنه القدرة والتأثير والنفوذ الذي يمكنك أن تحصل عليه جميعاً لتبدو به أمام أسرتك والذين يمكن أن يعتمدوا عليك..

إنه الغرض الذي يرفع عن كاهلك القلق والهم، ويحررك من قيود الحزن والأسى، ويخفف عنك حدة الصدامات العصيبة التي قد تحدث فيما سيأتي من أيام حياتك.

إنه المثل الأعلى لوجود بشري أوسع وأرحب، ولبقاء إنساني أكثر كمالاً وأعظم سعة.

إنه انتماء وانتساب إلى الأسرة الإنسانية العادية، فهو لذلك أرقى وأسمى وأفضل وأعلى تعبير موجود في الحياة، والحياة المتزنة فحسب هي الحياة السعيدة الصحية، وحسن إدارتك لمالك إنما هي أعظم عامل في ذلك الكمال وفي تلك الصحة.

استشر بعض من يوثق برأيهم ويعتد بنصحهم في التوفر والتدبير، وأظفر بخلاصة آرائهم وتجاربهم. واسأل الذين نجحوا في التوفير، أولئك

الذين كانوا موفقين في الاستثمار في أضيق نطاق وفي حدود ميزانية صغيرة. اجمع هذه الحجج والبراهين ثم اتخذ لنفسك طريقة التوفير التي تروقك.

وإنني – وأنا من المشتغلين في الشئون التجارية والمالية منذ زمن طويل – أرجو أن تسمح لي يا قارئي العزيز أن أسدي إليك النصح خالصاً بان تنأى كلية عن المقامرات أيا كان نوعها. وأن تبتعد عن المضاربات المالية أو التجارية. وكن بعيد كل البعد عن فكرة القمار أو الحصول على شيء بدون شيء، أو امتلاك أشياء بدون وجه حق. وضع نصب عينك دائماً أن المال الحرام لا يدوم، وأن "اللي يجي بلاش بيروح بلاش".

أخيراً، حاول أن تنهض وترتفع بنفسك فوق الهموم التي تنشأ دائماً من "القلق المالي".

ليس المال، وإنما حب المال، هو أساس كل شر.. وبما يكون معنى حب المال: الهم المرهق، والقلق المزعج، والجشع الأناني، والكفاح التعس البائس في سبيل التألق الكاذب والمظهر الخداع، والنضال الذي ينطوي على الحسد لبلوغ مركز رفيع أو منصب عال يتفق مع الثروة، والبحث بدون جدوى عن مكان في طابور الدخول إلى الغنى والثراء، والغنى والثراء، الغنى الظاهر والثراء البادي للعيان.

أما بالنسبة إلى الباحث عن الحقيقة وطالب التحصيل العالي، لا

يعدو كل هذا أن يكون كالطبول الجوفاء، أو كالزبد لا يلبث أن يذهب جفاء.

سر قدماً، وادخر مالاً، ودرب نفسك على الاقتصاد والتوفير، ولا تبع نقداً بدين كما يقول لقمان.. عش بثروتك، ولا تعش لها. كن مبتهجاً، طروباً، راضياً بما قدر لك من رزق، وبما آتاك الله من فضله، واشكر الله على ما وهبك من عقل راجح، راض، قنوع.

والفقر إنما هو الجهل بعينه. إنه الحاجة إلى معرفة أن الروح، وليست الماديات، هي التي تكون الثروة وتنميها، وأن الروح الخالقة التي فيك وفي كل النفوس العظيمة، المتزنة، هي التي تنبت الكثير من الفيض، وتنتج الكثير من الخير.

فإذا كنت أهلا للمال بحق، وتحتم عليك أن تتعلم كيف تهب، وكيف تعطي، وكيف تمنح..

والثروة يجب أن تكون أول ما تكون في العقل، فهي إذن ستكون الصوت المدوي الصادر من اللا شعور، والذي يهدى إلى الكمال..

وهي الاتجاه الكريم، النبيل، نحو الحياة الكريمة.. وهي الفكرة بأنها جزء من الناسوت المشترك الأعظم، والإنسانية العظيمة العامة، والمجتمع الإنساني المترابط..

وهي المثل الأعلى للتآزر والتآلف والتآخي مع الجماهير..

وإنها هي قانون المطابقة لحقائق الوجود العظيمة، المطلقة، الشاملة.. والإنسان عليه أن ينفق ماله في الحق، ولا ينفقه في الباطل.

قال تعالى: "والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا" أي لم ينفقوا في المعصية، ولم يمنعوا من الطاقة.

إن ثروتك يمكن أن تقاس إلى حد ما بمقياس المال، ولكن الثروة الحقيقية إنما هي – في الأصل وقبل كل شيئ – أخلاقك، واتجاه عقلك، وكمال روحك، واكتمال شخصيتك، وشجاعتك ونفسك الجادة المجدة، والتوق إلى مطالب الروح، والتعطش إلى الغبطة الدائمة، والرضا الثابت، والسرور المقيم.

اتخذ القرار التالي، وكرره دائماً بصيغة التوكيد:

"الكسب، والصرف، والادخار، والمنح: هذه هي الأسس العملية التي تدخل الآن في حياتي المهنية بتوافق واتساق.. غنى قائم بترتيب ما بدخل نفسي وخارج نفسي، وتجديد وفاقي مع عالمي العلمي الخارجي، وبذلك أعلو فوق المتاعب، وأرتفع فوق المصائب والاضطربات التي من شأنها دائما هدم سلام الجميع. وإبادة خيرهم ورفاهتهم، وبعد أن أفرغ من عمل كل شيء صائب، معقول، مما سلف ذكره، مما يؤدي إلى النجاح في العمل، أقدم رصيدي وديعة لدى القانون السماوي العظيم – قانون العرض والطلب – عرض أعمالي، وطلب الجزاء عليها"..

الفهرس